

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190134

UNIVERSAL
LIBRARY

ابن شريف

المعز بن باديس - عمران القيروان - حياة ابن رشيق
وترجمة ابن شرف القيرواني ، وابنه جعفر

صنع

أبي البركان محمد أحمد المصطفى الأحمدي
الاستاذ بالكلية الشرقية في لاهور (عاصمة بنجاب * الهند)

وهي محاضرة ألقاها باللغة الاوردية في جمعية الشريين بلاهور
ونقلها بقامه الى اللغة العربية لتكون كقائمة لكتابه المسمى

الاسم العربي لابن شريف بن باديس

القاهرة ١٣٤٣

عُنيت بنشره

المطبعة السلفية - ومكنتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على غامر آلائه ، وأكرم صلواته وسلامه
على خاتم أنبيائه وأصفياؤه ، من خلص عباده وأوليائه

وبعد فلهذه مقالة كنت قرأتها بحضرة جمع من
العلماء في جمعية الشرفيين بلاهور في مارس سنة ١٩٢٣ م
بالأردنية ، لسان الأمة المسامة في الهند . ثم إنى رأيت
أن أعربها وأجعلها كتمقدمة على تاليفي :

(النتف ، من شعري ابن رشيق وابن شرف)

وأما أصلها الأردني فإنه طبع في مجلة المعارف (أعظم
كر الهند) أشهر مجلات الهند من شهر مارس الى شهر
مايو سنة ١٩٢٤ م تباعاً

والله المستول أن يجعل سعبي مشكوراً بين أدباء

البلاد العربية ، فهم غرضى من إنشائها في العربية ، وأنا بين

أهلى ووطنى كأجنى عنهم

نزَلُوا بِمَكَّةَ فِي قَبَائِلِ نَوْفَلٍ وَنَزَلْتُ بِالْيَمْدَاءِ أَعْدَ مَنْزِلِ

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسَيْطًا وَلَمْ تَكُنْ نَسَبَتِي فِي آلِ عَمْرِو

وَأَنَا

عبد العزيز الميمنى الراجكوتى السلفى

لطف الله به

الأستاذ بالكليّة الشرقية فى لاهور عاصمة بنجاب (الهند)

صدر بازار راجكوت كتهبادار (الهند) يوم الحجّ (عرفة) من سنة ١٣٤٢ هـ

﴿ أَوْلِيَّةُ الْمُعَزِّ ﴾

لما فتح جوهر قائد المعزّ الفاطمي مصرفي بدء القرن الرابع الهجريّ دعا مولاه المعزّ ليتمكن على سرير مصر والشام . ففسكر المعزّ فيمن يوليّه بعده على إفريقية فلم ير له كفوّاً إلا بُلْكَيْنَ بن زَيْرِي بن مِيَاد (١) الصنّهاجِيّ ، وصنّهاجة كانوا أعوان الفاطميّين . فاستخلفه ودعاه أبا الفتوح سيف الدولة يوسف . ثم توالى منصور وباديس الى أن توفّي هذا الأخير سنة ٤٠٦ هـ فجأةً وهو في معسكره نائم بين أصحابه . فبُويع المعزّ ابنه وهو إذ ذاك (٢) ابن ثمانية أعوام وقيل وستة أشهر وقيل بل ابن احدى عشرة سنة

﴿ الْمُعَزِّ بن باديس ﴾

لم يُعرف له غير هذا الاسم . ولد سنة ٣٩٨ هـ بالمنصورية (صَبْرَة) وملك بعد وفاة أبيه بالمحمدية (المسيلة) . فقام بأعباء الملك أحسن قيام . وأفرغه في قلب النظام . وأراح نفسه من المدّعين للملك من عشيرته الأدنين . إلا أن طوائف البربر لم تُخذه ينعم بالأمان عادتهم بأسلافه . فكانت تخرج عليه وتتهزّز الفرص . فنارت

(١) كذا في صبح الاعشى ٥ : ١٢٤ وفي غيره ابن مناد

(٢) راجع ابن خلكان وابن خلدون والكامل

طوائف زناة سنة ٤١١ و ٤١٥ و ٤٢٠ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ هـ الى غيرها وآل حماد سنة ٤٣٢ هـ والكن الحظ كان قرين المعز فهزموهم وأخذ ثورتهم وكف من غربهم فهابته الطوائف . وتزلفت اليه بالتحائف . ولم يبق بأمهات بلاد إفريقية من يساجلده في الرياسة . قال ابن خلدون (٦ : ١٥٩) :

« وكانت بينه وبين زناة حروب ووقائع كان له الغلب في جميعها كما هو مذکور »

وكان (١) رقيقاً رقيقاً . سمحاً جواداً محباً للعلم وحامليته . متجنباً لسفك الدماء . حليماً حسن الصحبة والعشرة . لئن الجانب للأوداء . خشنة للأعداء . ملك من برقة الى فاس وسكن الشوار بإيناس منه وإساس . وكان يخضع لأحكام الشرع كما يؤخذ من عدة تراجم في معالم الايمان (٣ : ١٧٦ و ٢٠٩) ولم يكن من الفنون اللطيفة خالوا وله شعر وإن لم نقف عليه (الوفيات ٢ : ١٠٥)

ونقل صاحب البدائع عن أبكار الأفكار لابن شرف أنه قترح على شاعرى حضرته أن يصفها شعراً لطيفاً على أسوق بعض إساءه فكان مما قاله ابن رشيق :

يعيبون بـلقيسيّة أن راوا بها
 كما قدرأى من تلك من نصّب الصّرّحا
 فانقد المعز عليه بقوله « أوجدت لخصمها حُجّةً بأن بعض الناس
 عابه » وهذا النقد الصائب دليل على ذهنه الثاقب

وكان المعزّ واسطة عقد آل زيرى بل ملوك إفريقية وبيت
 قصيدهم

قال ابن خلدون (٦ : ١٥٨) :

« كان أضخم ملك عرف للبربر بافريقية وأترفه وأبدخه »
 واجتمع بمحضرتة من أفاضل الشعراء ما لم يجتمع إلا بباب
 صاحب اسماعيل بن عبّاد وكانوا يُنصفون على مائة شاعر على ما زعم
 صاحب البساط (ص ٥١) وذكروا أكثرهم ابن رُشيق في (أنوذج
 الزمان في شعراء قيروان) وسيمرّ بك سرد أسماء من عثرتنا على
 ترجمته منهم

وهالك بعض أمثلة شهامته وُبعد صيته . قال ابن الأثير (١) :
 وهب مرة مائة الف درهم للمستنصر الزناتى وكان عنده وقد
 جاءه هذا المال فاستكثره فأمر به فأفرغ بين يديه ثم وهبه له . فقيل

له لِمَ أمرتَ بإخراجه من أوعيته . قال لثلاثا يقال لو رآه ما سمحت
نفسه به

وقال ابن خلدون :

نقل ابن الرقيق من أحوالهم في الولائم والهدايا والخبائز (١)
والأعطيات ما يشهد بذلك . مثل ما ذكر أن عطية صندل (٢)
عامل باعانة مائة حمل من المال . وأن بهض توأيت الكبراء منهم كان
العودَ الهندي بمساهير الذهب . وأن باديس أعطى فلفول بن مسعر
الزناقي ثلثين حملاً من المال وثمانين تخماً . وأن أعشار بعض أعمال
الساحل بناحية صفاقس كان خمسين الف قفيز
وقال أيضاً قبله بقليل :

ووصل زاوى بن زيرى (صاحب غرناطة) من الاندلس سنة
عشر وأربعمائة كما ذكرناه في خبره فتلقاه المجر أعظم لقاء وسلم
عليه راجلاً وفرشت القصور لنزله ووصله بأعظم الصلات وأرفعها
وقال ابن خلكان (٣) :

وكان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة وسير له
تشريناً وسجلاً يتضمن اللقب المذكور وذلك في ذي الحجة سنة
سبع وأربعمائة

(١) كذا ونسخة ابن خلدون (٦ : ١٥٨) . مصحفة : امل صوابه

« الجنائز » (٢) كذا وانظر (٣) ٢ : ١٠٤ والبساط ٤٢

وتزلقت له الملوك بالهدايا والتُّحف ابتغاءً مهادنته . فمن ذلك هدية أتت من مصر على ما قال ابن رشيقي^(١) أو من السودان على ما قال صاحب البساط^(٢) أو هذه غير تلك وفيها زرافةٌ وصفها ابن رشيقي في همزيّة (وهي في النُتف) . ووفود^(٣) أرسلها ملك الروم سنة ٤٢٦ هـ معها هديّة خطيرة فقبلها بقصره في صبرةً وردّها بما يناسب حالها وحاله . وفي الكامل^(٤) أنه أرسل الى جزائر القسطنطينيّة أسطولا وجيّهزها فرجعت منصورّةً غانّةً . الى غير ذلك من الأخبار ولم نتعرّض لها إذ لم يكن الايُّ كثار من غرضنا في الباب

﴿ غلّو الفاطميّين في بثّ دعوتهم ﴾

اعلم أن القاضي أسد بن الفرات فاتح صِقْلِيّة والامام سحنونا لما صنّفنا الاسديّة والمدوّنة كان المذهب الحنفي بعدُ ناشراً لواءه ومادّاً خبائه على تلك الأرجاء إلا أن خطوته جعلت تنقهر بعد تصنيفهما الى وراء ونباهته الى انزواء . ثم ان الفاطميّين بثّوا دعوتهم ونشروا كلمتهم ولم يكتفوا بالجائز حتى جاوزوا الحد وارتكبوا كل فظيعة شنيعة . وأظهروا أن ليس غرضهم الوردّ الأمر الى أهل البيت والولاء لهم والتفاني في اصطفايهم الا أنّهم أضروا ما يباينه فجعّلوا

(١) العمدة ٢ : ٢٢٨ (٢) ٤٣

(٣) البساط ٤٤ (٤) ٩ : ٢٢٥

يخدعون العوامَّ والسُدَّجَ ويستخفون بالشرية وأحكامها وعلمائها
وكبار رجالها ويسبون الصحابة جهاراً ولا يخافون لومةَ لائمٍ ولا نهى
ناهٍ ويتصرفون في أوامر الشريعة ونواهيها فعلَ عزيزٍ مقتدرٍ
ويستهترون بالمعاصي ويؤذون علماء الدين وخيرة العالمين . ثم
أعادوا أعمالهم الشنيعة بمصر والشام وأصروا على الآصار والآثام .
إلا أن أهل هاتين المملكتين لم يكن عندهما بلاءٌ ولا غناء
ولا مراسٍ ولا لقاء فلم يصابوا فتيلةً ولا رزئوا شيئاً . ولكن أهل
إفريقية والمغرب كانوا بعكسهم من النجدة والبأس وقوة المراس
وشدة الشكيمة . آنفين من الضيم والهزيمة . نقل الدباغ^(١) في
سبب قتل عروس المؤذن المتعبّد الشهيد أنه كان يؤذن في مسجد
عباس الفقيه صاحب سخنون فشهد عليه بعض المشاركة^(٢) أنه لم
يقبل في أذانه « حتى على خير العمل » فقطع لسانه^(٣) وسمل
بين عينيه وطيف به القير وان ثم قتل بالمرضاخ . وكذلك نقل^(٤)
أيضاً (وأنكر ابن ناجي وجوده في المعالم) ما وقع في عهد أبي
المعز قال انهم بعد فتحهم مصر والشام « بعثوا دعاتهم إلى إفريقية
يدعون الناس الى مذهبهم الفاسد ويُجبرونهم عليه فلم يُجبههم أحد

(١) معالم الايمان ٣ : ٢ (٢) كان أهل المغرب يدعون الفاطميين

بالمشاركة لان عبيد الله الشيعي مؤسس دعوتهم اتاهم من المشرق

(٣) وفي الاصل وعمل كذا ؟ (٤) المعالم ١ : ٢٤

الى ذلك من أهل القبروان وأنه قدم مرّة^(١) داعٍ لهم في أيام
باديس بن المنصور وأخذ الناس بالعنف والغلظة. وانهم ظفروا ببعض
رُسل هذا الداعي فقتلوه اه • فهذا وأمثاله أثار العوام عليهم .
وبغضهم لهم . إذ لم يكونوا كهمل النعام . ولا بهيمة الأنعام . يسير
بها الراعي العبيديّ حيث يشاء . ويسومهم حُطة العسف وسفك
الدماء . فانتقموا منهم في دولة المعزّ وأبيه وأصابوا الثارَ المنيمَ بل
أسرفوا وما سدّدوا ولا قاربوا فقتلوهم اشنع قتلة وفتكوا بهم فتكة
البرّاض ولم يُراعوا حدود الله ولا وقفوا دونها فقتل بعضهم وانجلى
آخرون الى صقلية

﴿ المعزّ والمشاركة « الفاطميّون » ﴾

لم يكن في المعزّ من التآليف والملاطفة والمداهنة والمشاركة ما كان
في أسلافه فكان يمجّم بذمّهم تارة ويصرّح أخرى ويتبرأ منهم
الى العوام وعلماء الدين وكانوا بحيث ذكرنا ينطون منهم على دمنة
كامنة ودخلة مزرعة فعدّوا كلّ هذا غنما ووسيلة الى قلع غرّسهم
واستئصال شأقهم . قال ابن الأثير^(٢) مامعناه : لما اجتاز موكب
المعزّ بالقبروان سنة ٤٠٧ هـ رأى دهاء الناس مجتمعين فسأل عن سبب
اجتماعهم فقالوا للعن أبي بكر وعمر (رض) فأجاب « رضى الله
عنهما » . فكان ترضيته هذه كانت أمراً للعوامّ فضربوهم حيث

وجدوا اه . وقال ابن خلدون ^(١) ما لفظه : وكان المعزّ منحرفا عن مذاهب الرافضة ومنتجلا للسنة فأعلن بمذهبه لأوّل ولايته ولعن الرافضة ثم صار الى قتل من وجد منهم . وكبا به فرسه ذات يوم فنأدى مستغيثا باسم أبي بكر وعمر فسمعتة العامة فناروا لحينهم بالشيعه وقتلوهم أبرح قتل وقتل دُعاة الرافضة يومئذ اه . وقال ابن ناجي ^(٢) ما ملخصه : ان المعزّ لما قدم القيروان بعد موت أبيه واستفتاح ولايته عام ٤٠٧ قتلت العامة الرافضة أقبح قتل وحرّ قوهم وانتهبوا أموالهم وهدموا ديارهم وقتلوا نساءهم وصبياتهم وجرحوهم بالأرجل وكانت صحيحة من الله سلطها عليهم وخرج الأمر من القيروان الى المهديّة وسائر بلادهم فقتلوا حيث وجدوا الى آخر ما سرده من أنواع القتل والمثلة . ثم قال وما تقدم من قولنا « خرج الأمر من القيروان الى المهديّة وسائر بلادهم » خلاف ما كان يقول شيخنا أبو الفضل البرزالي أن الوقت الذي قام عليهم فيه أهل القيروان قام كل شيخ على من في بلده كالشيخ محرز على هل تونّس من غير أن يكون اتفاق منهم على ذلك بل هي كرامة في حق جميعهم اه يريد ان قتل أهل كل بلدة من فيها من الشيعة في آن واحد لم يكن عن تواطؤ منهم على ذلك سابق بل هو كشف . أقول وهكذا يقول العوام في ثورة الهند الشهيرة سنة ١٨٥٧ م وما أشدّ وآع المتأخرين

بالمكاشفات والخوارق ومدعى المتصوفة فإن سلفهم والتاريخ شاهد على ما أقول. لم يكونوا كذلك ولا نبذوا الاسباب والعِلل الكونية نَبَذَ هؤلاء العُواة. ولم يكونوا أقل منهم رعايةً للدين ولا خشيةً لله. وأهل المغرب أولعهم بالطلسمات والعُوذ والرُقَى والشيوخ الكاذبين الغاصيين هداانا الله وإياهم الى سواء الصراط. وهذه بعض كرامات سردها ابن ناجي^(١) في ترجمة أبي يوسف الدهماني: إخباره بالمغيبات مراراً، طيرانه في الهواء، إقامته مُقْعِداً، دَوْران البيت، أمره بطرح القمح في البحر مع أنهم لما قَتَّشوا عنه وجدوده وأفياء لم ينقص حَبَّةً، جعل الماء حيتاناً، جعل الرَّمْلَ ذَهَباً. الى غير ذلك من الهوسات، والدعاوى الكاذبات. عصم الله عباده عن حبائل هؤلاء الانحمار القائدي المسلمين الى البوار.

ومع هذا كله وصلته من الحاكم الفاطمي في هذا العام الهدايا الثمينة. كأنه لو اكتفى بما فعل لم يهيجُ كامن حقد الفاطميين ولم يُبْرِ دواعي الانتقام. والحق أن فتوح المعز المتواليية وانتصاراته المتواترة ثبَّطت من عزائم أعدائه وكفَّت من غرْبهم سواء كانوا من داخل البلاد أو خارجها فأخذوا يستعطفونه ويستميلونه ودلفوا له بالتحائف الخلطيرة. فكان هذا من إحدى البواعث على انحراف طبعه وغريزته. ونبذ الفكر في العواقب وراءه ظَهْرِيَا كما سيأتي

قال ابن خلكان ^(١) وفي سنة تسع ^(٢) قُطِعَ اسمه (المستنصر) واسم آبائه من الحرميين الشريفين وذُكِرَ اسم المقتدى خليفة بغداد. فكان هذا وأمثاله من الأمور داعياله على أخذ الثأر منهم والاستبداد. فقطع الدعاء لهم وكان جارياً من أيام المهديّ عبیدالله بافريقية سنة ٤٣٥ كما قال ابن الاثير ومؤرخو القيروان أو سنة ٤٤٠ هـ كما قال ابن خلدون (إلا أن إحدى سني ابن خلكان أعني سنة ٤٤٣ لا أجد لها وجهاً) وأحرق بنود المستنصر ومحا اسمه من الطرر والسكّة ودعا للقائم ابن القادر ووافاه خطابه وكتابُ عهدِهِ صحبة داعيته أبي الفضل الدارمي الوزير وسيأتي ذكره مع خلع سنية وجوائز بهيئة وسيف مرصع وعدة أعلام. وهذه صورة التولية ^(٣) :

من عبد الله ووليّه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين الى الملك الأوحدي ثقة الاسلام وشرف الامام وعمدة الأنام ناصر دين الله قاهر أعداء الله مؤيد سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبي تميم المعز ابن باديس بن منصور وليّ أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين . الخ

والعجب من تخليط ابن الأثير حيث قال في موضع آخر ^(٤) ان

(١) ٢ : ١٠٣ (٢) وفي العبارة ما يوهم بأن يكون وقوع هذا سنة

٤١٩ هـ راجع ابن خلكان (٣) الكامل ٩ : ٢١٧ (٤) الكامل ٩ : ٢٣٥

ذلك جرى سنة ٤٤٠ هـ فانظر فبأى قوله نأخذ وعلى أيهما نعول .
وان كان هذا الأخير له شاهد في المعالم ^(١) ولفظه في ترجمة محمد بن
جعفر الكوفي قاضى صبرة « كان فصيحاً لسنّاً سنياً مبايناً لأهل
البدع شديداً عليهم ولما أمر المعز بن باديس بلعنة عبيد الله في الخطب
وذلك في يوم عيد الفطر من سنة أربعين وأربعمائة خطب هذا
القاضى فقال بعد ذكر ماجرت العادة به في خطبة الفطر: اللهم والعن
الفسقة الكفار المرائين الفجار أعداء الدين وأنصار الشياطين
المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك المتبعين غير سبيلك والمبدئين
لكتابك الخ . فأمر السلطان خطيب جامع القيروان أن يفعل مثل
ذلك على المنبر في الجمع في كل خطبة » اه . أقول ولم يصرح باسم
عبيد الله أو خلفائه فليعلم

وجملة القول أن الحاكم المتوّد له كان قد توفى وخلفه
المستنصر وكان أبى الضيم والهضم فتمعر وجهه وامتنص وتحرّق
وكتب الى المعزّ يؤعده فأجابه المعزّ بمثل كتابه وأظهر انكم لم تنالوا
ما نلتهم من الملك الا بمعونة آبائى . وان كانت جملته هذه لم تجانب
الصواب لأن عبيد الله كان أتى من المشرق وكان أنصاره قبائل
صنهاجة من البربر وهم إخوان المعزّ وعشيرته إلا أنها لم تخرج عن
قلب عقول ولسان شكور ونظر في عواقب الأمور . والذي زاد ضيقاً

على إباله والطين بلة أنه نام نومة عبود ولم يجز العدة أو العديد
ولا استهلم أو استهلم. وأما المستنصر فانه استوزر الحسن البازورى
وكان جاهلاً غمراً ، يحمل من المعز بين ضلوعه غمراً . وكان المعز
يخاطب الوزراء الماضين « بعبده » فكتب اليه « صنيعته » فاغتاظ
واستاء ودبر له مكاييد الأسياء وقوى عزيمة المستنصر على الايقاع
به والزحف اليه على ماسياتى

﴿ ضعف قوة المعز ﴾

قال النويرى فى نهاية الأرب ^(١) « سار جماعة من أهل صقلية
الى المعز بن باديس وأعلموه بما حلّ بهم وقالوا نحب أن نكون فى
طاعتك وإلا سلّمنا الجزيرة الى الروم وذلك فى سنة سبع وعشرين
وأربعمئة . فوجه المعز ولده عبد الله الى صقلية بعسكر عدته ثلاثة
آلاف فارس ومثلهم رجال فسار الى الجزيرة ووقعت بينه وبين الاكحل
(أحمد صاحب صقلية) حروب وحاصره فى قصره بالخالصة ثم
اختلف أهل صقلية وأراد بعضهم نصرة الاكحل فقتله الذين أحضروا
عبد الله بن المعز غدرًا . ثم رجع بعض الصقليين عن (كندا) بعض
وندموا على إدخال عبد الله الى الجزيرة واجتمعوا على حربه وقتلوه
فانهزم عسكر عبد الله وقتل منهم نحو ثلثمائة رجل ورجعوا فى المراكب

الى إفريقية اه . وقال بنحو صفحتين بعد ما ذكر تغلب رجّار
 الإفريقيّ صاحب مالطة على عامّة مدائن صقلية « ففارق الجزيرة
 كثير من العلماء والصالحين وسار جماعة من أهل صقلية الى المعز بن
 باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج
 على كثير منها فعمّر أسطولا كثيراً^(١) (كذا ولعله كبيراً)
 وشحنه بالرجال والعُدَد وكان الزمان شتاء فساروا الى قوصرة فهاج
 البحر عليهم ففرق أكرهم ولم ينج الأقليل وكان ذهاب هذا
 الاسطول مما أضعف المعزّ بن باديس وقوى العرب عليه حتى أخذوا
 البلاد منه اه . وإني لأعجب من ابن الأثير كيف خلط بين
 الحادثتين قال في حوادث سنة ٤١٦^(٢) أن المعزّ جهّز اسطولا الى
 صقلية لاستنقاذها من أيدي الروم ولكنها غرقت بما فيها قرب
 جزيرة قوصرة بعد كيت وذيت . ثم قال بعده بكثير^(٣) وأخذ في
 بدء تاريخ مسامى صقلية تحت حوادث سنة ٤٨٤ هـ أن ابن الحواس
 (أو الجواس) صاحب صقلية لما هزم عساكر ابن الثمنة (الخارج عليه)
 سار هذا الى رجّار يستنجده ليملكه عليها فسار في رجب ٤٤٤
 بجنوده وقبض على أكثر البلاد وهزم ابن الحواس وسار جماعة
 من أهل صقلية الى المعزّ بن باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة

(١) كان فيها اربع مائة مركب على قول ابن الاثير

(٢) السكامل ٩ : ١٤٥ (٣) ١٠ : ٨١

من الخُلف وغلبة الفرنج الى آخر قول ابن فضل الله حتى أخذوا البلاد
 منه حرفاً حرفاً . وهل هذا إلا تناقض شنيع وتخليط قبيح . ولقد
 صدق من قال المِكْثَارِ مِهْدَارِ . فكان هذا وأمثاله على ما صرَّح به
 العُمَرِيُّ وابن الأثير مما أضعف قوى المعزَّ وجراً عَرَبَ مصر
 وشُدَّاذ الخوارج عليه وهدم صرَّح مجده الرفيع ، وعِزَّه المنيع .
 فصار خرابُ القيروان مُعْدِيّاً الى سائر إفريقية وصقلية بل الى
 المغرب بأسره



﴿ خراب التقيروان ﴾

كتب البازورى وزير المستنصر الى المعز :

« أما بعد فقد أرسلنا اليكم خيولا فحولا ، وحملنا عليها رجالا كهولا ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً »

ثم رماه بقبائل هلال الذين كانوا مع القرامطة وهم رياح وزغبة والأثبيج وغيرهم ووعدهم بالنصر وأعطاهم من العُدّة والأسلحة والمال ما يكفيهم فتقدموا وجعلوا بركةً مرجعاً لهم وأخذوا يُخيفون السُّبُل والقُرَى، ويُخرّبون الديار ويجرقون الزرع ، وَيَعِيثُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَيَدْمُرُونَ كُلَّ مَا مَرَّوْا بِهِ وَيَقْتُلُونَ عِبَادَ اللَّهِ . فسرح اليهم المعز جيوشه فهزم موهم . فنهض بثلاثين ألفاً من غلمانهم وزُهاهم من قبائل صنهاجة واصطف قريباً من جبل حيدران ^(١) أو جندران ^(٢) وظهر منه من الجراءة والإقدام وحبّ الحِمام ما لم يُعهد مثله . إلا أن فشَل صنهاجة وتواكلهم جلب له عاراً باقياً حيث هزمهم العرب وهم ثلاثة آلاف على ما قال شاعرٌ :

وان ابن باديس لأفضل مالك ولكن لعمرى ما لديه رجال
ثلثون ألفاً منهم غلبتهم ثلث إلاف ^(٣) ان ذا لمحال

(١) ابن خلدون ٦ : ١٥٩ (٢) الكامل ٩ : ٢٣٦

(٣) في الكامل ثلثة آلاف وامل الصواب ثلثة ألب على خلاف القياس

ثم إنه قوَّى عزمه وخرج ثانياً بسبع وعشرين ألف مقاتل
وثبت غلماناه وقبائل زناتة إلا أن صنهاجة غدروا بهم على عادتهم
فانهزم بمن معه . ثم رخص كرهاً قبائل العرب أن يدخلوا القيروان
للبيع والشراء . إلا أن هيئته كانت زالت عن قلوبهم فأخذوا
يجوسون خلال الديار وينيقون العباد والبلاد أهون الدمار . فأشار
المعز على ناسه أن ينتقلوا الى المهديَّة وكان عليها ولده تميم من سنة
٤٤٥ هـ وخرج هو أيضاً بنفسه سنة ٤٤٩ هـ إلا أنهم لما رأوا القيروان
خالية من الحامية شرعوا في العيث والهدم والإحراق على جاري
عادتهم . ولما رأى الروميون ما حلَّ بهم أغاروا على المهديَّة . وثار
نُوار البرابرة أيضاً فصيرَّوا حواضر إفريقية كعصف مأكول . فلبث
المعز في باقي حياته وهو أربعة أعوام منزوياً عن زهرة الحياة متشجَّت
البال كئيبه كشمس كسفت أو عين نضبت . وحدث فيه من الحدة
ما نفرَّ عنه دُرر عقده فتناثرت بعد التئامها وارتحل صاحبنا ابن
رشيق أيضاً مع انه كان جلس البيت وحليف وكره الى صقلية
وكانت من الاختلال بحيث رأيت ودريت . وذكّر ابن خلدون^(١)
فيما نحن فيه كارثة ترق لها القلوب وتدوب وتهمل العيون بالغروب .
وهو أن المعز^(٢) خرج في خفارة مؤنس أمير رياح من القيروان

(١) ٦ : ١٥٩

(٢) وفي الاصل ابن المعز ولعله خطأ كما يدل عليه كلامه فيما بعد

الى المهديّة بعد أن أصهر اليه في ابنته فأنكحه إياها اه

والجوع يُرْضَى الْأَسْوَدَ بِالْجَيْفِ

أقول. وأذكرتني الأريحيّة الأدبية أن الحارث بن عباد^(١) لما هزم مُهَلْهَلًا في حرب بكر وتغلب لحق باليمن فنزل في جنب حِيٍّ من اليمن فخطب اليه رجل منهم ابنته فقال اني طريد غريب فيكم ومتى أنكحتكم قال الناس اعتسروه . فأكرهوه حتى زوجها وكان المهر أدمًا فقال :

أنكحها فقدّها الأراقمَ في جنبٍ وكان الحباء من أدم
لو بأبائينِ جاء يخطبُها زُمْلَ ما أنفُ خاطب بدم
ثم مات سنة ٤٥٣ هـ . وخلفه ابنه تميم وكان شاعرًا^(٢) ومدحه
ابن حمديس وغيره من مُفَلِّقِي الشعراء . وكان داهيةً ، ومن دهائه
ما نقله ابن الأثير تحت سنة ٥٠١ هـ أن حِيٍّ عدِيّ ورياح اقتتلا
فقتل رجل من رياح وتصالحا على اهدار ذمه فحضّ تميم رياحًا على
أخذ الثأر بأربعة أبيات أولها :

متى كانت دماؤكم تُطَلُّ أما فيكم بئار مستقلّ
فتحاربا وتقاتلا وكفاه الله حربهم ونجّاهم من شرّهم . ثم تولى

(١) طبقات الشعراء ليون ص ١٦٥

(٢) راجع لشعره الشريشي ١ : ٢٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٨ ، ٢٩١ -

ابنه يحيى بن تميم ثم على بن يحيى ثم حسن بن على وعليه ختام هذه العائلة التي حكمت ٢٠١ سنة. ومات يحيى سنة ٥٦٣ هـ . وكل ملوكهم أبناء لأصلاب أسلافهم

﴿ سبب خراب القيروان غريب ﴾

مهما كان في وسعنا فإننا لم نقصر في البحث عن أسباب خرابها ولم نأل في التنقيب عن بواعث هزيمة المعزّ . ثم رأينا ابن ناجي (١) شارح المدونة المتوفى سنة ٨٣٧ هـ ذكر له علة غريبة أحببنا نقلها قال ما خلاصته :

قلت وسبب خراب القيروان إجابة دعاء الشيخ الواعظ عبد الصمد فانهزم سلطان التيروان مع كثرة عساكره وقلة من جاءه . وذلك أنه كان له ولد صالح تقى واعظ يسمى أبا الحسن محمداً . وكان يجلس بجامع القيروان الأعظم يُسمع كلامه . . الى آخر ما وصفه به ثم قال : ومالت له القلوب والاسماع وكثرت له الأتباع حتى حدره السلطان وخاف على نفسه منه فاستعار منه بعض الكتب فأرسل اليه . فطاعه السلطان ثم ردّه فتصفح الواعظ أوراهاً منها فوجد بينها

سجادة بخط السلطان (١) كأنه نسيها بين أوراق كتبه فاذا فيها
« زعم ملوك الفرس وحكماء السير والسياسة أن أهل التمس
والوعظ وتأليف العامة أضرت الناس على الملوك وأقبحهم أثراً في
الدول فيجب أن يتدارك أمرهم ويبادر إلى حسم الأذى منهم »
فلما قرأ البطاقة تفتن للحيلة ثم انه أراد الحج وخرج معه خاصة
القيروان وعامتها وأمره السلطان بالزاد وذلك ٢٢ من رجب الفرد
سنة ٤٤١ هـ ومعه رجل وكلوا به أن يصلوا معه إلى مدينة قابس
ونهى أن يشيعه أحد أو يخاطبه وكتب إلى عامله بقابس في تحذير
الناس من الدخول عليه وصار السلطان يعلن بدمه . . ثم انه لما
خرج عنها قتله رجل من الاعراب في طريقه ذلك

قال جعفر بن شرف لما قتل كثير التظلي من الناس على
السلطان أنه دس عليه من قتله . قال وبلغني أن أباه أخبر بقتله وهو
بجامع عمرو بن العاص بمصر فذهل قدمه في الحين وهو يلبي بالحج
من مكانه ذلك وتبعه خلق عظيم وكان يطوف بالبيت ويتعلق بأستار
الكعبة ويصيح بقوله :

يارب المعز ، عليك به ! يارب ، عليك بابن باديس !

(١) كذا يريد بطاقة كما صرح به فيما بعد . ولم أجد لها في المعاجم معنى

فكانت الهزيمة بالقيروان في اليوم الثاني من حجه ودعائه
وذلك كان أصل خراب القيروان فلم يشك أحد في أجابة دعائه
فندعوذ بالله من تغيير قلوب أوليائه . وهذا أصح من نقل عياض عن
محمد بن عبد الصمد اه على طوله

واني لاستفتيه وهو مالك عصره « وكيف أقتى وفي المدينة
مالك » أن يجيبني عن هذه الاسئلة : (١) هل كان الاعراب
يسمعون أوامر المعز ويطيعونه فكيف يكون مسئولا إذا؟ (٢) لِمَ
خَصَّهُ المعز من بين الوُعَاظ بالشُّبْهَة وهذا أئى تأليف قلوب العامة شأنُ
كلِّهم (٣) هل تمَّ قولُ في المذهب أن ظنَّ العوامَّ أو نبزهم أحداً
يكفى في استيجاب قتله (٤) هل يصلح ويليق بولى أن يدعو على
سلطان مسلم بالهلاك والدمار بناءً على الشُّبْهَة من دون تحقيق اللّهم إلا
أن يتنصّل بأنه علم الواقعة بالكشف فعليه إذاً إثباته (٥) هل يَسْمَحُ
عَدْلُ الله أن يأخذ بُرَاءَ القيروان بذنوب المعز فقط مع أنه يقول
« لهما ما كسبت وعليهما ما اكتسبت » « ولا تزر وازرة وزر أخرى »
أو تمَّ قرآنٌ خاصٌّ لأولياء الله يخالف ما بأيدينا (٦) هل جامع عمرو
ابن العاص خامسٌ لمواقيت الحجّ الاربعة فإن كان ففي أى مذهب ؟
(٧) نحن كلنا نرى كل دول أوروبا الاستعمارية تسير في مستعمراتها
هذه السيرة بعينها فهل نحصل على مجاب الدعوات كالشيخ يخلصنا

من أيديها الباطشة المُجْحِفَة بنا . ولعمري لو عثرت على قوله باديء
 بدء لاقتصرْتُ عليه ولم أبحث عن أسباب الخراب في مجلّدات
 ضخام . اللهم أهد قومي فانهم لا يعلمون

﴿ عاصمة قيروان ﴾

المعروف أن منسوبها قيروانى الأ أن ياقوت ذكر القيروى
 أيضاً فى معجمه . وفى مجموعة بالاسكوريال فيها نُخبة من شعره
 « القروى » على التجريد ، عن الزوائد وجامع القرويين بفاس للمنسويين
 الى القيروان هذه

هذه البلدة وان كانت إسلامية اختطّها عقبه بن نافع الفهري
 المولود فى عهده صلى الله عليه وسلم رحمه الله إلا أنها صارت بمرور
 الزمان من أمّات بلاد إفريقية وبرّزت عليها فى العُمران والمدنية
 بحيث لم يضاها أىّ بلدة كانت من بلادها . فاجتمع فيها من
 فضلاء العلماء ، وصلحاء الأولياء والعقهاء والاطباء والكتّاب
 ومفلقى الشعراء والمهندسين والمنجمين من الوهاد والنجاد وانضوا
 إليها من سائر البلاد ما جعلها مدينة الاسلام بالغرب . ولما أنها كانت
 واسطة بين المشرق والمغرب عرّج عليها أو خيم بها كثير من
 المجتازين والطلبة الراحلين . وأثاروا فى نفوس أهلها غراماً للعلم

كلمناً وولعاً لا اكتساب الفضائل ضامناً . فرحلوا وعمروا وطَّهروهم
بأنواع المعارف ودَّبَّجوا لها المطارف . قال الدباغ ^(١) في ترجمة أبي
عبد الله ابن سعدون القيرواني : انه كان من أهل العلم بالفروع
والأصول وكتب الحديث بمكة ومصر والقيروان . زاد ابن ناجي
أن خروجه من القيروان كان للتجارة فطاف بلاد المغرب والاندلس
وأخذ الناس عنه هناك كأهل قرطبة وبلنسية والمرية وغير ذلك
من البلاد اه وأما فقهاء المالكية كأسد بن الفرات ^(٢) وتلميذه
سحنون وابن أبي زيد صاحب الرسالة وابن يونس واللخميّ وابن
مُحرز التونسي وابن بشير فكان اليهم منتهى موالك الغرب
والاندلس والمعول في حلّ معضلات المسائل . قال الدباغ ^(٣) في
ترجمة أبي القاسم عبد الحق السيوري وكان من الحفّاظ المعدودين
والفقهاء المبرزين وكان يحفظ المدوّنة من صدره زاد ابن ناجي أن
فيه بترّاً لأنه كما كان يحفظ المدوّنة كان يحفظ دواوين المذهب
الحفظ الجيّد وغيرها من أمهات كتب الخلاف حتى انه كان يقول
لمن ينقل شيئاً غريباً أين وقع هذا ليس هو في كتاب كذا ولا في

(١) المالم ٣ : ٢٤٥

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون مصر سنة ١٣١١ هـ ص ٢٦٧ والديباغ

(٣) المالم ٣ : ٢٢٥

كتاب كذا يعدُّ أكثر الدواوين المستعملة من كتب المذهب
والخالفين والجامعين ، فكان في ذلك آيةً . وعرفني من نثق به
عن شيخنا أبي محمد الشيباني أن الواردين لقراءة العلم بالقيروان من
محبّتهم في المدونة أكثروا في ثمنها فاشترى ما بالقيروان منها حتى
عُدمت منها فأتوا إلى الشيخ فأملأها عليهم من رأسه . ثم وجدت نسخة
بالقيروان فقابلوا ما أملى عليهم الشيخ بها فوجدتا سواءً اه مختصراً
وأما حسن سمّت علمائها ورغبتهم في البرِّ والايثار فانك ترى
صفحات المعالم طافحةً بذلك راجع^(١) ترجمة أبي علي الحسن بن خلدون .
وكان بها طبيب طائر الصيت يسمى ابن الجزار وآخر يدعى ابن
أعين وهاك ما نقل فيه صاحب المعالم^(٢) « وكان أحمد بن عوانة
نسخ للفقهاء أبي عليّ جزءاً من كلام الأشعري يساوي أربعة دراهم
فدفع له أجره ذلك فلم يقبل ثم ان ابن عوانة ذهب إلى تونس في
زيارة المؤدّب محرز فأتى إلى القيروان وقد أصابه رمد شديد فأنزله
أبو عليّ معه في الدار واستدعى الطبيب ابن أعين يداوى عينيه
فداواه حتى برأ وكان يُجرى عليه النفقة فلما أراد السفر أعطاه رزمةً
فيها جامع ابن وهب يساوي نحو ثلثمائة درهم ، وكان يُجرى النفقة على

(٣) ٣ : ١٩٠ - ١٩٤

(١) ٣ : ١٩١

جماعة من أهل العلم والطلب الخ . وأما النجوم فاني اکتفى فيه
 بكلام ابن خلدون ^(١) والرجل أدرى بما في بيته « وقد عوّل
 المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن إسحاق من
 منجمي تونس اه »

قال صاحب البساط ان حضرة المعزّ كان يطراً عليها نحو مائة
 شاعر كان يرأسهم وليّ نعم ابن رشيق عليّ بن أبي الرجال السکاتب
 الشيباني . وهو الذي أهدي اليه كتابه العمدة كما يقول :

ان الذي صاغت يدي وفي وجرى لساني فيه أو قلبي
 مما عنيتُ بسبّك خالصه واخترته من جوهر الکلم
 لم أهده الا لتكسوه ذكراً يجده على القدم
 الى آخر الستة الأبيات وقد زين كتابه بشعره ^(٢) . وكان
 يتضائل له كما يقول ^(٣) :

إني لأعجب كيف يحسنُ عنده شعر من الأشعار مع احسانه
 ما ذاك إلاّ أنه درّ النّهي يف ^(٤) التّجارُ به على دهقانه

(١) المقدمة ٢٩١

(٢) راجع العمدة ١ : ٨٧ ، ١٦٣ (مكرر) ٢٦ : ١١ ، ١٤ ، ١٨ ،

٨١ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٧ ، ١٣٤

(٣) العمدة ١ : ١٦٣

(٤) كذا ولعل الاصل « يقف » أو « يوفي » [الزهراء] : الذي في

نسخة خطية عندنا من العمدة مكتوبة سنة ٩٩٣ « يفد » وهو الصواب [

ويعلمنا بهمه أنه لعليه كالمثنيء لعليه أغنى سيف الدولة .
 وكان هذا الفاضل كاتباً للمعزّ خصيصاً به مريباً له . وكان يقترح على
 ابن رشيق مساجلة الشعراء وهذه الأبيات ^(١) من هذا الباب ساجل
 فيها الناشء صاحب قصيدتين ^(٢) في وصف الشعر :

الشعر شيء حسن ليس به من حرج

الى آخر العشرة الأبيات

وكان الوله بقرض الشعر سرى بين الخاصة والعامة كما يدلك
 عليه حكاية النموذج هذه ^(٣) قال ابن رشيق جلست في دكان ابي
 لقمان الصفار وكان يتهم (كذا) في شعره مع جماعة من الشعراء و ابو
 لقمان والدركادو يلعبان بالشطرنج ونحن نضحك لما يجري بينهما من
 غريب المهارة . فقال الدركادو اجز يا ابا لقمان :

حيقان حبك في طنجير بلوائي

فقال ابو لقمان : ونخم وجهك في كانون احشائي

فقال له احمد بن ابراهيم الكموني احسنت يا ابا لقمان ، قسيمك

خير من قسيمه . فزهى ابو لقمان وقال ادافع في بديع الشعر وهذا

شعري في الهتف . اه . ويشبهه حكاية اخرى في النموذج ^(٤)

(١) العمدة ١ : ٢٣

(٢) العمدة ٢ : ٩١ و ٩٣

(٣) البدائع ١ : ٧٠ (٤) البدائع ٢ : ٣٩

والآن نسرد عليك أسماء تواريخ قيروان ورجالها :

- (١) نموذج الزمان ويأتي (٢) معالم الايمان للديباغ وذيله لابن
 ناج (٣) تاريخ القيروان ^(١) لابن زيادة الله الطنبى (٤) تاريخها ^(٢)
 لابي محمد بن عفيف (٥) تاريخها ^(٣) لابن رشيق (٦) طبقات ^(٤)
 علماء افريقية (٧) وكتاب عباد افريقية ^(٤) كلاهما لابي العرب محمد
 ابن احمد بن تميم (٨) كتاب في اخبار ملوك افريقية والقائمين عليهم ^(٥)
 للتاريخي (٩) كتاب مسالك افريقية وممالكها ^(٦) : تاريخ ضخمة
 لمحمد بن يوسف الوراق القيرواني ، ألفه للحكم المستنصر صاحب
 الاندلس . واما التي تجمع بين تاريخها وتاريخ غيرها فهي كثيرة
 ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكأنهم احلام
 واما الآن فليس بالقيروان من السكان غير عشرين الف
 نفس بعد ان كانت غاصّةً بقُطانها ، وهم على ما قيل لم يقلوا عن
 الف الف (مليون)

(١) المعجب - ليدن ص ٢٥٩ (٢) المعجب ص ٢٥٩

(٣) كشف الظنون (٤) كلاهما من الديباغ ٢٥٠

(٥) تاريخ علماء الاندلس لاضبي العدد ١٣١

(٦) التكملة لابن البار العدد ١٠٥٠ وص ٣٦٧

فهرس

أبي زيد بأيدينا كتاب خاص بشعرائها وأدبائها فلحبيت أن أدل
قطرة من البحر . على أنك تجد هنا جزءاً من الانموذج الذي
منه المكاتب العمومية فيما أعلم

عبد الوهاب بن محمد الأزدي المعروف بالمشقال . فوات الوفيات

٢٤ من الانموذج

ابن المؤدب . ابن خلكان والابارى ٦٥٤ و ٢٣٢ و ٢٦٣ من

انموذج

ابو حبيب عبد الرحمن بن احمد . الفوات ١ : ٢٥١ التكملة

ابن البار من الانموذج

ابو لقمان الصفار والدركادو النعموني . بدائع البدائه ١ : ٧٠

من الانموذج

ابو العباس ابن حديدة . البدائع ١ : ١١٣ و ١٢٠ من

انموذج

محمد بن حبيب التنوخي . البدائع ١ : ٢٣٩ من الانموذج

محمد بن جعفر القزاز صاحب الجامع - وسيأتي في جملة الشيوخ -

ابن خلكان ومجمع الادباء من الانموذج

عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي وسيأتي

أبو اسحق الحضرمي صاحب زهر الآداب وسيأتي
 أبو الحسن محمد الصرائري . بساط العقيق ٦٣ من الامتودج
 عبد الله بن رشيق اندلسي قيروانى . التكملة لابن البار "

١٢٨١ من الامتودج

عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير - وسيأتي
 الشيوخ - بغية الوعاة ٣٠٨ من الامتودج

عبد العزيز بن خلوف الجروى } نثار الازهار ٢٠ من الامتودج
 محمد بن ابراهيم

محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي . معجم الأدباء عن ابن
 رشيق فى ترجمته

محمد بن عبدون السوسى رحلة التيجانى أمارى ٣٧٩ عن ابن رشيق
 يعلى بن ابراهيم الاريسى . الأدباء ٦ : ٤٦٩ والبدائع ٢ : ٣٩

عن ابن رشيق

أبو الفضل الدارمى الوزير . البدائع ٢ : ١١٩ المعالم ٣ : ٢٤١
 البساط ٥٣ عن ابن رشيق

ابراهيم الماردى القيروانى . البساط ٥٢ عن ابن رشيق

عبد العزيز بن محمد القرشى . » ٥٢ » » »

الطوسى الاعمى الشاعر . الغيث المنسجم ٢ : ٢٢٥ » »

* بعض أدبائها *

علي بن أبي الرجال الشيباني ولى النعم على ابن رشيق . العمدة

أحمد بن أبي الأسود الأديب ١ : ٣٧٨

علي بن فضال القيرواني » ٥ : ٢٨٩

الرقيق القيرواني وهو فاضل جليل » ١ : ٢٨٧

عبد الله بن محمد الأزدي العطار . الفوات ١ : ٢٣٥

ابن معد القيرواني المعاهد ٢ : ٢٢

عمر الخراط القيرواني » ١ : ١٢١

محمد بن عطية بن حيان الكاتب . البساط ٥٢

أبو العرب الصقلي أمارى ٦٠٨ وغيره

الحكيم الفيلسوف أبو الصلت أمارى ٦٠٠ وابن أبي أصيبعة وغيرهما

» » أبو الفضل جعفر بن شرف . الصلة العدد ٢٩٥

الضبي العدد ٦١٠

تميم بن المعز . ابن خلكان

إلى غيرهم وهم كثيرون

* ابن رشيق *

ولادته وأيام تربيته بالمسيلة (المحمدية)

قال ابن بسام في ذخيرته ^(١) « بلغني انه وُلد بالمسيلة وتأدب بها قليلاً ثم ارتحل الى القيروان سنة ست واربعمائة » وقال بنفسه ^(٢) في آخر انموذجه « صاحب الكتاب هو حسن بن رشيق مولى من من موالي الأزد . وُلد بالمحمدية سنة ٣٩٠ هـ وتأدب بها يسيراً وقدم الى الحضرة سنة ٤٠٦ هـ وامتدح سيدنا (المعز) سنة عشر » اهـ . قال ابن خلكان وقال غير ابن بسام وُلد بالمهدية اهـ أقول والقول مردود بتصريح ابن رشيق على أن ابن فضل الله نسبه الى المسيلة . وهذه النسبة لا تتأني إلا بالولادة فان نشأه كان بالقيروان على الاتفاق . وكان أبوه رشيق مملوكاً رومياً كما يفهم من عبارة الانموذج المارّة وعلى ما صرح نفسه ^(٣) في الرد على ابن شرف بعد ذكره نسب ابن شرف هو اسم امرأة نائمة « وأما أنا فنظر الله في وجهه (كذا) هذا الشيخ إليّ ، وأتمّ به النعمة على . فما أبني به أبا ، ولا أرضى بمذهبه مذهباً . رضيت به رومياً ، لادعيا ولا

(١) ابن خلكان ١ : ١٣٣ وأمارى عن مسالك الابصار ٦٥٠

(٣) ٣ : ٧٠

(٢) معجم الادباء ٣ : ٧٠

بدعيا « وكان مولى لأزدى كما مر - وهكذا يعلم من الوفيات
وإنباء الرواة^(١) والمسالك . إلا أن صاحب البساط ضرب في حديد
بارد وأخذ في الدعاوى وهاك ما قال^(٢) :

والذي تحقق لدينا بعد الفحص الطويل عن حياة
و(كذا) أخبار هذا الفحل أنه لم يثبت بكيفية قطعية أن
أصل أبيه مملوك رومى كما يزعمه بعض أهل التراجم
بدليل أن اسم رشيق هو من الاسماء العربية المستعملة
بكثرة فى ألقاب العائلات العربية الأصل المنتصبة
بافريقية فى ذلك الزمان « اه بلفظه

أقول وهذا القول لا يصلح للاتفات إلا أننا نضيف الى ما مر
عدة دلائل

(١) لا تكاد تعثر على أسماء أجداد الذين أسلموا كياقوت بن
عبد الله الرومى - وهذا بعينه شأن ابن رشيق فان أحداً لم يذكر
جده . فان الاسلام يَجِبُّ ما قبله

(٢) ليس قولاً لبعض أصحاب التراجم بل لجمهورهم

(٣) الرشيق معناه الحسن القوام وهذه الصفة تصلح للغلمان

لا الاحرار . فان الموالى كانوا يسمونهم أفلح وربلحا وميسرة ورشيقاً الى غير ذلك نظراً الى فوائدهم هكذا قال علماء اللغة والاشتقاق - وإني مع كل هذا أزيدك ثلاثة اسماء نقل يا قوت^(١) في ترجمة احمد بن رشيق الاندلسي عن الحميدي أن أباه كان من موالى بني شهيد - ورشيق آخر^(٢) غلام بكجور وآخر^(٣) خادم الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وهذا اختراع له آخر قال في البساط^(٤) :

ومما نتيقنه أن الحسن ولد بالمحمدية نواحي سنة ٣٨٥
ولا صحة لمن قال سنة ٣٩٠ وحسبنا شاهد (كذا) ما ذكره
ابن رشيق في أحد تأليفه عند ترجمته لبعض الشعراء
الأندلسيين حيث قال : اجتمعت به بالمحمدية سنة
٤٠١ هـ . ولا يعقل أن يكون سنّ ابن رشيق إذ ذاك
عشرة أعوام وهو يجالس الادباء المشاهير

أقول وهذه فريفة بلا مريّة كما ترى - وبجسبك قول ابن رشيق في نفسه أن مولده سنة ٣٩٠ هـ . ولا أدري لماذا خص السنة

(١) مجمع ١ : ١٢٧ (٢) ذيل تاريخ دمشق لابن الفلايبي ٣٥

(٣) ابن تفرى بردي ليدن السنة ١٨٥٥ م - ٢ : ٣٨ (٤) ٥٦

٣٨٥ هـ للولادة مع أن أحداً لم يقل به فيما أعلم . على أنه لم يسمّ كتاب ابن رشيقي وهذا لا يجوز في مقام الاحتجاج وان كان لنا أن نقول انه يمكن لابن إحدى عشرة سنة أن يجتمع بالادباء وابن رشيقي كان آية في الذكاء وغاية في قوة التريخة في صباه كما يدل ذلك عليه قوله في الحُصْرِيّ في الميم من التنتف

وكان أبوه صائغاً كما في الكتب السابقة بلا خلاف لاجوهرياً كما قال محمد بن شنب الجزائري صاحب المقالة عليه في دائرة المعارف الاسلامية بالانكليزية . وعلمه أبوه صناعته مع شيء من العلم إلا أن قريحته الوقادة لم تجد ببليدة المسيلة مجالاً فارتحل الى القيروان لتكميل العلوم سنة ٤٠٦ هـ

﴿ شيوخه ﴾

أبو عبد الله محمد بن جعفر القزّاز القيرواني إمام اللغة بلا منازع صاحب الجامع في اللغة الذي يقارب تهذيب الأزهري كما قال ياقوت ترجمه صاحبنا ^(١) في أنموذجه فقال « فضح المتقدمين وقطع السنة المتأخرين وكان مهيباً عند الملوك والأمراء وخاصة الناس محبوباً عند العامة قليل الخوض الآ في علم دين أو دنيا يملك لسانه

(١) ياقوت ٦ : ٤٦٩ والوفيات ١ : ١٥٠

ملكاً شديداً « وزينُ عُمَدته أيضاً ^(١) بنقل اقواله وما جرى له في مجلسه متأدباً ولم أجده مزيفاً لقول له أو ناقداً عليه - ويظهر أن كتب ^(٢) أئمة اللغة والأدب كأبي زيد وأبي حاتم والمبرّد وابن دُرَيْد وصلته بهذا السند « أنشدنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحويّ (القزّاز) عن أبي عليّ الحسين بن ابراهيم الأمدى عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي زيد الانصاريّ « وبهذا « أخبرنا القزّاز عن الأمدى المذكور عن عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المبرّد «

وكان يطرح على تلاميذه عويصات المسائل يسبّر غورهم فمن ذلك ما نقله صاحبنا في عُمَدته ^(٣) قال وحاجي شيخنا أبو عبد الله بعض تلاميذه فقال له :

احاجيك عباد كزيب في الوري ولم تُوتِ إلا من حميم وصاحب فأجابه التلميذ بأن قال :

سأ كتم حتى ما تُحسّ مدامعي بما انهلّ منها من دموع سواكب فكان معكوس قول أبي عبد الله عباد كزيب [في الوري]

(١) ١ : ٦٨ ٦ ٨٥ ٢ ١٠٢١٦ ١٢١٦ - ٢ : ٦٣ ١٥٠ ١٩١ وغيرها

(٢) ١ : ١٢١ - ٢ : ١٥٠ ١٩١ (٣) ١ : ٢١١ - ومعجم الادب

« سِرْكٌ ذائع » فقال الآخر سأ كنتم فأجابه على الظاهر إجابة حسنة ومعكوس سأ كنتم « منك أتيت » فكأنه قابل به قول الشيخ ولم تؤت إلا من حميم وصاحب وهذا كله مليح اه فهذا يدل على فضل القزاز وأنسه بطلبته وعلى اصابة التلميذ وما خص به ذلك العهد من نفاق سلعة الادب ورواج سوقه . وتوفى سنة ٤١٢ هـ وترجم له ياقوت وابن خلدكان

أبو إسحق إبراهيم الحصري صاحب زهر الآداب ذكره في أنموذجه وقال انه توفي سنة ٤١٣ هـ وقال ابن بسام سنة ٤٥٣ قال ابن خلدكان (١) وذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب الجنان أنه ألف زهر الآداب في سنة ٤٥٠ هـ وهذا يدل على صحة ما قاله ابن بسام هـ . أقول وهذا غريب إذ يبعد أن يميت صاحبنا شيخه أو بلديه قبل موته الطبعي ب ٤١ سنة - وليس لدينا اماراة على أنه شيخ لصاحبنا الا قول صاحب البساط وهو مجتهد لا يصيب الا قليلا . قال ابن رشيقي (٢) وقد كان أخذ في عمل طبقات الشعراء الخ راجع الحكاية في الميم من النتف . وهذا يدل على انه لم يكن شيخا له اذ لا يمكن أن يسيء به الادب وهو استاذله

الى آخر الثلاثة الأبيات « اه أقول وهذا الشاعر هو منظور ابن سُحيم الحماسي . ويبجل اسمه ويخضع له وربما انتقد عليه ^(١) شيئاً وهو مصيب في انتقاده ولكن مع مراعاة جانب الأدب . وذكره ^(٢) في الأنموذج أيضا قال « ان كتاب الخراج بالقيروان اجتمعوا في الديوان يوما فوَقعت بينهم جرادة فوضعها بعضهم في يده وقال : من يصفها ؟ فقال عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي قد علمتم اني امرؤُ مُرَوِّ واست بصاحب بديهة . فبدرهم يعلى بن ابراهيم ^(٣) الأرسى » اه . وذكر له في العمدة ^(٤) قولاً غريباً وهو ان ابا الطيب إنما سُمِّيَ متنبئاً لنظنته . واقتدينا صاحب البساط في عدة من مشايخه وإن لم نره لغيره . هذا ويجيء ذكر خطأ له في آخر المقالة

ابو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ذكره في موضعين من عمدته مرة كناه ابا عبد الله ^(٥) واخرى ابا محمد ^(٦) وهذه ترجمته في الأنموذج ^(٧) « كان مشهوراً بالنحو واللغة جدياً مفتقراً اليه فيهما بصيراً بغيرها من العلوم ولم يُرَ قطُّ ضرير أطيّب مته نفساً ولا أكثر منه حياءً مع دين وعفة

(١) اللمعة ١ : ١٦٩ - ١٨٨٤ : ٢ - ١٩٢ : ٢ (٢) البدائع ٢ : ٣٩

(٣) راجع له معجم الادباء في ترجمة الفزاز (٤) ١ : ٤٥ (٥) ١ : ١٢٤

(٦) ١ : ٧٢ (٧) البقية ٣٠٨ والبساط ٥٧

وكان شاعراً مطبوعاً سلك طريق أبي العتاهية في سهولة الطبع
ولطائف (كذا) التركيب ولا غناء لأحد من الشعراء الخذاق
عن العرّض عليه والجلوس بين يديه مات سنة ستّ واربعمائة وقد
زاد على السبعين »

الشيخ ابو عبد الله ^(١) محمد بن ابراهيم بن السمين ذكره في
العمدة في غير ما موضع وكان يعرض عليه مشكلات المسائل
فيحلها له

القاضي ابو الفضل ^(٢) جعفر بن أحمد (أو محمد) النحوى
ذكره في موضعين من عمدته على ما أدى اليه نظرى . ويمكن أن
يكون له من المشايخ غيرهم أيضا يذكروهم في العمدة ^(٣) تارة بلفظ
الشيوخ واخرى بلفظ بعض الشيوخ

﴿ تلامذته ﴾

من الأسف أننا لم نعتز في هذا الفصل الأعلى على قطرة من عِدِّ
وهاكها :

(١) ١ : ١٤٤ - ٢ : ٢٣ ولما أن التراز أيضا أبو عبد الله يمكن أن
يكون وقع ثم تداخل في حوالات الرجلين (٢) ١ : ٥٧ و ١٠٣
(٣) ١ : ١٤١ وغيرها

ابو محمد عبد الله بن يحيى بن حمود الحزيمي (كذا) يروى
عن ابن رشيق شعره فالله أعلم أيرويه عنه بواسطة أو بدونها في
جزء (١) من شعره الموجود بمكتبة اسكوريال

ابو عبد الله الصفار (٢) (أو ابن الصفار (٣) الصقلي كان
هاجر من صقلية الى القيروان للاجتماع به وسمع شعره حين تغلب
عليها الروميون كما سيمرّ بك حكايته

﴿ شَبَابُهُ وَصِدَّتُهُ فِي الْأَقْطَارِ ﴾

أول حلقة من هذه السلسلة عثرنا عليها ما قال في أمودجه (٤)
في ترجمة نفسه :

« وقدم الى الحضرة سنة ٤٠٦ هـ وامتدح سيدنا خلد الله دولته
(المعز) سنة عشر بقصيدة أولها :

ذَمَّتْ لِعَيْنِكَ أَعْيُنَ الْغَزْلَانِ قَرْمٌ (٥) أَقْرٌ لِحَسَنِهِ الْقَمْرَانِ

(انظرها في التنف) قال ومن مدح القصيدة التي دخل بها
في جملته ونسب الى خدمته فلزم الديوان وأخذ الصلة وأحلمان :

(١) أمارى ٦٨٠ (٢) البدائع ٢ : ٣٦ (٣) مسالك الأبصار
أمارى ٦٥١ (٤) راجع ترجمته في معجم الأدباء ج ٣ : ٧٠ (٥) أقول
كذا في ياقوت والحلل السنديسية وأنت ذمّت لأن المراد بالقمر امرأة وذكر
ضمير لحسنه حملا على اللفظ ثم أنت ضميره في البيت التالي انظره في التنف

لَدُنُّ الرِّمَاحِ لَمَّا يَسْقَى أَسْنَتَهَا مِنْ مُهْجَةِ الْقَيْلِ أَوْ مِنْ نُغْرَةِ الْبَطْلِ
 (انظرها في النتف) «

وقد مرَّ أنه لما وصل وفود صاحب مصر بهدايا وخلعة وتلقاهم
 المعزُّ أنشد ابنُ رشيق هزيمته . فلما انثالت عليه الهدايا وأقبلت
 الخاصة جاوز صيته وطار ذكره الى ما وراء البحر من صقلية والأندلس
 وجاز حتى تغلغل أسماع ملوك الطوائف بالأندلس كما سيأتي . وتقل
 صاحب البساط عن ابن خلدون في مقدمته :

« ما كان بإفريقية من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيق وابن
 شرف »

وفي الدخيرة ^(١) لابن بسام حكاية عن أبي عبد الله بن الصَّفَّارِ
 الصَّقَلِيِّ قال كنت ساكنا بصقلية وأشعار ابن رشيق ترد على فكنت
 أتمنى لقاءه حتى قدم الروم علينا فخرجتُ فرأيتُهم حتى تاركاً لكل
 ما ملىكت يدي وقلتُ أجمع بأبي عليٍّ فبرقة شائله وطيب مشاهدته
 سيذهب عني بعض ما أجد من الحزن على مفارقة الأهل والوطن .
 فجئت القيروان ولم أقدم شيئاً على الدخول الى منزله . فاستأذنت
 ودخلت فقام إلىَّ وهو ثاني اثنين فأخذ بيدي وجعل يسألني فأخبرته
 بأمرى فارتض . اهـ

(١) على ما في البدائع ٢ : ٣٦ ومسالك الأبصار أمارى ٦٥١

وكان أهل الأندلس يقدرونه حق قدره كما قيل:

إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذُووه

كما سيأتي من أن عُمدته لما وصلهم اختصره نحوهم الشهر
 أبو بكر ابن السراج (ككتاب) وعَدَّد فيه جملةً من أوهامه .
 ونرى ابن الأَبَّار الكاتب البَلَنْسِيُّ يأخذ من قُرَاضة الذهب له .
 وناهيك بتقلص شعره المجموع من الأقطار إلى مكتبة إسكوريال
 دليلاً على نفاق سِلْعته لديهم . ونراهم نسجوا على منواله واقتفوا
 مثاله استحساناً له كما فعلوا بملق السبيل للمعريّ فكلّ ما حاذوا به
 هذا الكتاب وكذا أصله لا يوجد في غير الاسكوريال . وهذه
 النسخة التي طبعوه عليها أخذوا صُورَها من أصل اسكوريال . وهذا
 حال شعره وقَدَّر الناس له حقَّ قدره . قال ابن خفاجة^(١) في ديوانه
 « خرجت يوماً بشاطبةً الى باب السَّمارين ابتغاء الفُرجة على خريز
 ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ هـ واذا بالفقيه أبي عمران
 ابن أبي تليد رحمه الله قد سبقني الى ذلك . فألفيته جالسا على دكَّان
 كانت هناك مبنيةً لهذا الشأن فسَلَّمت عليه وجلست اليه مستأنسا
 به فجزى أثناء ماتناشدهنا قول ابن رشيق :

يأمنُ يَمُرُّ ولا تمرُّ به القلوب من الفرقِ

(١) نفع الطيب مصر ٢ : ٢٠٤ ليدن ٢ : ٢١٦ و ٢١٧ والبدايع ٢ : ٤٦

الى آخر الخمسة الأبيات المذكورة في النتنف . فقلت وقد
 أعجب بها جداً وأنى عليها كثيراً أحسن ما في القطعة سياقة الأعداد
 والإفانف تراه قد اسفرسل فلم يقابل بين الفاظ البيت الأخير
 والبيت الذي قبله فيُنزلَ بإزاء كل واحدة منها ما يلائمها . وهل ينزل
 بإزاء قوله وإذا نطق قوله شغل الحدق . وكأنه نازعني القول في هذا
 غاية الجهد فقلت بديها :

ومفهم طاول الحشا	خنت المعاطف والنظر
ملاً العيون بصورة	تليت محاسنها سور
فاذا رنا وإذا مشى	وإذا شدا وإذا سفر
فضح الغزاة والغما	مة والحامة والقمر

فجنى بها استحسانا . وقال ابن ظافر القطعة القافية ليست لابن
 رشيق بل هي لأبي الحسين على بن بشر الكاتب أحد شعراء
 اليتيمة اه ومثله مارواه (١) ابن حمديس قال اجتمعت مع أبي الفضل
 الكاتب جعفر بن المقترح بسببته فذكر لي بيتي ابن رشيق :

البحر صعب المرام مرُّاً لأجملت حاجتي إليه

(راجعها في النتنف) ثم قال لي أتقدر على اختصار هذا المعنى

قلت نعم أقدر على ذلك وأنشدته (وذكروا بيتين) فاستحسن ذلك .

إذ كان على الحال وأقام عنى أيا ما تم اجتمعت به فأشددنى لنفسه فى
المعنى (وذكريتين) فأشدته لى فيه (وذكريتين وكل الأبيات
فى النتف)

وأما طيران صيته ونباهة ذكره بالقيروان فحسبك فيه ماجرى
بينه وبين الحصرى وقوله فيه بيتين راجعها فى الميم قال « فبلغه
البيتان فأمسك عنه واعتذر منه ومات وقد سدَّ عليه باب الفكرة
فيه ولم يصنع شيئاً » اه ومثله ما نقله الدباغ^(١) فى ترجمة القاضى محمد
ابن جعفر السكوفى قال وجرت عليه محنة أعقبها التأخرُ عن قضائهم
والزهد فى جوارهم وذلك بسبب أبيات صنعها ابن رشيق :

ياسالكابن الأسنّة والضبا^(٢) إنى أشمّ عليك رائحة الدم
(انظر البيتين فى النتف) منها هذان البيتان صنعها معرّضا
به فزمت الى السلطان فكانت سبب محنته (ثم ذكر مصادرته
وفراره الى مصر وتوالى قاض آخر جميع ما كان يتولاه هو) ثم
قال وزال القضاء عن بنى السكوفى وكانت لهم فى ولايته نيف
وسبعون سنة تولاه أربعة منهم فى هذه المدة اه. وترى^(٣) فى الرأى
بيتين له عارض بهما بعض أصحابه وكان سبقه الى بيتين له فى المعنى

(١) المعالم ٣ : ٢٤٤ (٢) المغاربة يكتبون الظاء صاداً كما هو معروف

من خطهم ، انظر أنيس القرطاس (٣) البدائع ١ : ٢٤٠

فلما أنشده ابن رشيق بيتيه قال فضحتني وهذا يدل على أن معاصريه كانوا يُقرّون له بالسبق في الرهان وإحراز الخُصْل عند الأقران

﴿ ابن رشيق بحضرة المعز ﴾

المعزّ وان لم نعلم له على شعر كما نقلنا عن ابن خلكان (١) إلا أنه كان مع ذلك ناقدا بصيرا ومصقعا نحريرا - والعجب من صاحب المقالة في دائرة المعارف الإسلامية بالانكليزية حيث زعم ان الذي كان ابن رشيق من شعراء حضرته هو المعز الفاطمي - فكأنه لم يفرّق بين المعزّين ولم يعرف العرّ من البرّ - وهذا يتضح من انتقاده على بيتي ابن رشيق الحائيين وقد مرّا - ثم ان نونيته المارة أنبت لديه أن الرجل كأن له شأنٌ ومنتشر له ذكرٌ ولما أنشده لاميته اختصه لنفسه وجلبه الى ديوانه وحفّه بجوائز السنية ورفّه بصلاته الخطيرة على ما مر ، وما ساعده الدولة والإقبال لم يُجوج شاعره إلى غيره . ثم إنّ الدهر قلب له ظهر المجنّ والايام كما علمت غدرٌ وللدهر دُولٌ وسيأتيك بيانه . قال (٢) ابن شرف في أبكار الأفكار له « استدعاني المعز بن باديس يوما واستدعي ابا علي الحسن

(١) ولفظه (٢ : ١٠٥) له شعر قليل لم أقف منه على شيء

(٢) البدائع ١ : ٢٢٦

ابن رشيق الأزدي وكنا شاعرَيَّ حضرتَه وملازمَيَّ ديوانه فقال أحبُّ أن تصنعا بين يديَّ قِطعتين في صفة الموز على قافية الغين فصنعنا حالا من غير أن يقف أحدنا على ما صنعه الآخر (راجع قطعتيهما في الغين من شعرهما) فأمرنا للوقت أن نصنع فيه على حرف الذال فعملنا ولم يُرِ أحدنا صاحبه ما عمل (وراجع قطعتيهما في الذال من شعرهما) قال ابن شرف فانت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحدا. ولقد قال من حضر ذلك اليوم ما ندرى ممَّ نتعجب أمن سرعة البديهة أم من غرابة القافية أم من حسن الاتفاق « اه فهذا يدل على ما منح شاعريه من الاختصاص وحِصِّهما على المساجلة في قرُض الشعر ومثله ما نقله (١)

ابن بسام « أن ابن رشيق دخل عليه يوما وعنده جماعة من الأدباء وفي يده أترجة ذات أصابع كأنها واسطة ذهب أو جنود لهب، فأمرهم المعز أن يعملوا فيها شيئا فعمل ابن رشيق :

أترجة سبَّطة الأطراف ناعمة تلقى النفوس بمحظ غير مبخوس
 كأنما بسطت كفاً لخالقها تدعو بطول بقاء لابن باديس
 والبيتان كما ترى آية في الحسن وهما على البديهة فكيف
 لو تروى فيهما . ثم قال ابن بسام فاستحسن ذلك منه وفضَّله على

(١) ابن خلكان ٢ : ١٠٥ والبدائع ٢ : ٣٩ وجمنا بين الروايتين

من حضر من الجماعة الأدباء (كذا) . ومثله ما روى أنه رجع من
بعض غزواته منصوراً فتقدم ابن رشيق وأنشده :

وكأننا رايته مشهورة يوم اقتحامه
أيدٍ تشير إلى العدِّ وبسامة أو بانهمزاه

وكذا قوله ^(١) وقد غاب المعزّ عن حضرته وكان العيد ماطرًا :

تجهم العيد وانهلّت مدامعه وكنت أعهدُ منه البشر والضحكا
كأنما جاء بطوى الارض من بعدٍ شوقاً إليك فلما لم يجدك بكى

ولكن لما انتقل المعزّ من سيل أعراب مصر إلى المهديّة وتبعه
صاحبنا طاش فكره وقال رأيه فكان يمتعض من أدنى فلتة ويحبه
على أحقر بادرة ويسىء الظن بصديقه الوفيّ وصاحبه الحفيّ فارتحل
إلى صقلية وهو كاره مع انها لم تكن أحسن حالا من إفريقية كما
سيمرّ بك

﴿ هو في الخليط ﴾

كان على أعلى درجة من الخلق كما مرّ في حكاية رحلة الصقليّ إليه
ويدكر لنا في شعره أنه لا يستحلّ الجفاء بالاخوان ولو على المقارضة
من جفائي فأننى غير جافٍ صِلَةٌ أو قطيعة في عفاف

ويعظ أصدقاءه بأن قطوبى يس عن سوء الطوية أو دُخل
فاسد فلا يغرنكم ذلك

أحب أخى وإن أعرضت عنه وقلّ على مسامعه كلامى

الثلاثة الابيات . وذكر فى الأتموزج (١) حكاية تدلّ على كرم
ومروءة وسماحة نفس ودماثة خلق فى ترجمة الشاعر أبى الحسن محمد
الصرائرى قال « رأيت فى سوق ابن هشام بالقيروان ماشيا فى فرّو
أحمر عتيق مما يوارى ركبتيه وقلنسوة قديمة وهو يشتري لحما .
فتواريتُ عنه إكباراً له وحياءً من رؤيته فى تلك الحال واتبعته
إلى بيته فلما عرفته ذهبت فأنته بعبيبة كانت لى فيها ثياب لاجعلها
عليه فاذا هو يُصلح القدر وعليه ثياب نفيسة وعمة شريفة وفى وسطه
احرام دبيقى مرتفع فسلمت عليه متعجباً منه فأنكر حالى فقال مالك
فقصصتُ عليه القصة من أوّلها إلى آخرها فأنى بخير وقال قابلت
العامّة العمياء بما يشبهها » . وقد مرّ فى ذكر شيوخه أنه يتأدّب
معهم دائماً ويزين أبواب كتابه بنقل أقوالهم بأسماهم وإن احتاج
أن ينتقد على قول أحد منهم لا يخلّ برعاية الادب . ولا ينيّ يثنى
على ولى نعمة ابن أبى الرجال الآخذ بجزّته من الوهاد الى الجبال

كأنه يرى عنقه خاضعة لأعباء إنعامه وكاهله ينوء بأحمال إكرامه .
والاسف أنى مع طول التنقيب لم أعر على مواد تاريخية فهالك
ما وجدته من الباب فى شعره مع ذكر القوافى فقط : يلقننا القناعة
وينهانا عن الجشع (التَّعَبِ) . يحذرنا عن مخالطة العوام (الاكفاء
والصموت) يخوفنا بالموت ويوقن بالبعث والنشور وتراه تُرْعَدُ فرائضه
من ذكر يوم الدين والوقوف بين يدى رب العالمين (القضاء وظلّل) .
يحوم حول الحقيقة والجوهر ولا يحفل بالظاهر وليس من أهل الجمعية
والدندنة أو الفخفخة والطنطنة (معتمد) . يشكو الينا جوده وبذله
كما قيل :

انا اذا اجتمعت يوماً دراهمنا

ظلّت الى طُرق المعروف تستبق

لا يآلف الدرهمُ المضروبُ صرّتنا

لكن يمرّ عليها وهو منطلق

(جودى) - يلين جانباً عند ذكر الماضين . قال فى

العمدة ^(١) وقد ذكر عدّة ابتداءات للشعراء « وقد قلت أنا وإن

لم أدخل فى جملة من تقدّم ولا بلغت خطته »

﴿ سعة اطلاعه وإصابته الغرض وغائر نقده ﴾

هو من سعة الاطلاع وجمع المواد اللازمة والوقوف على كتب الشعر والشعراء بمكان لا يُجَارَى فيه ، بل روى الدواوين الأدبية برواياتها المختلفة ، قال (١) وذكر بيتاً لضباب بن سبيع بن عوف الحنظلي : هكذا روايته بالحاء غير معجمة وهو الصحيح وبعضهم يرويه غمة بالغين معجمة - وقال (٢) في بيتي عمرو بن كلثوم صدت الكأس البيت وماشر البيت : انه اختلسهما وهما لعمر وذو الطوق (ابن أخت جذيمة الأبرش) فاستلحقهما عمرو بن كلثوم في قصيدته وكان [أبو] عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيباً اه أقول عزّوهما إلى عمرو ذوى الطوق لم يُنبّه عليه ابن كيسان ولا التبريزي ولا الزوزني نعم ذكره أبو العلاء في رسالة الغفران (٣) والبغدادي (٤) في الخزانة في خبر طويل - وهما في كتاب النقائض (٥) معزوين لابن كلثوم في خبر مختلف عما عندهما ، والله أعلم بصاحبهما إلا أنا ذكرناه لغرابته وأن صاحبنا لم يفغل عنه مع شدوده . ويذكر في العمدة من الكتب المأخوذ عنها ما لا نكاد نقضى منه العجب ونسأله

(١) ٩٤ : ١ (٢) ٢١٧ : ٢ (٣) مصر ٦٨ (٤) ٣ : ٤٩٨

(٥) ص ٨٨٦

« أنى لك هذا » ولو كان حياً يسمع لأجانبنا « هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » وحسبك شاهداً لما نحن بصدهه أن كتاب جمهرة أشعار العرب مع عدم شيوع نسخته وعدم عثور المتقدمين عليه نرى مكتبة صاحبنا مزهوة به حيث يقول (١) « وقال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب » . ونرى أن تعاصر العلماء ربما يمنع بعضهم عن ذكر اسم صاحبه بخير إلا أن صاحبنا لا يستهجنه قال (٢) « وزعم أبو أسامة فيما رأته بخطه وقد عاصرتة وكان علامة باللغة » وأنموذجه فى شعراء عصره ليس إلا . ونراه يأتى (٣) بأشعار المعرى مع المعاصرة فإن المعرى توفى سنة ٤٤٩ هـ فذكر بيتين له من غير صنعة اللزوم فى عمدته

هذا ما كان من أمر الرواية وأما الدراية فإنه من دقة النظر وغموض الفكر وإصابة المرمى بمحل رفيع . لا يترك قولاً نقله إلا ويؤيده أو يزيفه إن كان يحتاج إلى بحث . ويدور مع الحق حيناً دار فتراه انتقد على أساتذته وعلى الأصمعى (٤) والصاحب (٥) ابن عباد والقاضى الجرجانى (٦) صاحب الوساطة وهو بنفسه يعترف فى محل آخر (٧) بفضل القاضى حيث يقول « وهو أصح مذهباً وأكثر

(١) العمدة ١ : ١٦١ (٢) ٢ : ١٥٤ (٣) ٢ : ٨٢ (٤) ٢ : ١٩٣

(٥) ٢ : ١٩٣ (٦) ٢ : ١٩٥ (٧) ٢ : ٢١٥

تحققا من كثير ممن نظر في هذا الشأن « ونراه ^(١) يوصى الشعراء
وصية طويلة قال فيها بعد ذكر ما أحدثه المتأخرون من المعاني
المبتكرة والإبداعات الغريبة وإبداء فضلهم على من تقدمهم » هذا على
أنى ذمتم الى المحدثين أنفسهم في أما كن من هذا الكتاب وكشفت
لهم عوارهم ونعيت لهم أشعارهم ليس هذا جهلا بالحق ولا ميلا إلى
ننديات الطُرق ولكن غضًا من الجاهل المتعاطي والمتحامل الجافي
الذى اذا أعطى حقه تعاطى فوجه وأدعى على الناس الحسد وقال أنا
ولا أحدٌ وإلى كم أعيش لكم وأى علم بين جنبي لو وجدت له
مستودعًا ، فاذا عورض في شعره بسؤال عن معنى فاسد أو متهم أو
طولب بحجة في آحنة أو شاذ أو نوظر في كلمة من ألفاظ العرب
مصحفة أو نادرة قال هكذا أعرف وكأنما أعطى جوامع الكلام ،
حاشَ اللهُ ! وأستغفر الله ، بل هو العمى الأكبر والموت الأصغر »
الى آخر ما نعى به عليهم وندد من تعجرفهم وسنلهم بشيء منه في
الأتى وبجسبك في لطافة فكره وغور سببه ما قال (٢) بعد أن نقل
اعتراض الصاحب على بيت المتنبيء في مرثية والدة سيف الدولة :

رِواق العزِّ فوقك مسبِطٌ ومُلكُ عليّ ابنيك في كِمال

ان لفظه الاسبطار في مرآة النساء من الخذلان الصفيق
 الرقيق ثم قال وأنا أقول ان أشد ما هجن هذه اللفظة وجعلها مقام
 قصيدة هجاء أنه قرنها بفوقك فجاء عملاً تاماً لم يبق فيه الافضاء اه
 قال العاجز نعم كذا هو « فوقك » في الوساطة^(١) وشرح الواحدى^(٢)
 إلا أن في شرح العكبرى^(٣) موضعه حولك . وفي الشرحين
 قول أبي بكر الشعراني تلميد المتنبىء أنه غير مسبطراً وجعل مكانه
 مستطيلاً وان لم يكن بأمثل من صاحبه إلا أن اعتراض ابن رشيق
 ارتفع بالمرّة واعتراض صاحب شيئاً قليلاً

ونقل في باب أغاليط الشعراء والرواة من العمدة^(٤) عن الأصمعي
 قال : قرأت على أبي مُحَرِّزِ خَلْفِ بنِ حَيَّانِ الأحمر شعر جرير فلما
 بلغت الى قوله :

وليل كإبهام الحباري محببٍ إلى هواه غالبٍ لى باطله
 رزقنا به الصيد الغزير ولم نكن كمن نبهه محرومة وحبائله
 فيالك يوماً خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال خلف ويحه ما ينفعه خير يؤول الى شر فقلت هكذا قرأته
 على أبي عمرو بن العلاء قال صدقت وكذا قال جرير وكان قليل

التنقيح لألفاظه وما كان أبو عمرو ليُقرئك الا كما سمع . قلت :
فكيف يجب أن يكون ؟ قال : الاجود أن يكون خيره دون شره
فاروه كذلك وقد كانت الرواة قديماً تُصلح أشعار الاوائل . فقلت
والله لا أرويه إلا كذا - ثم قال : قلت أنا أما هذا الاصلاح
فمليح الظاهر غير أنه خلاف الظاهر وذلك أن الشاعر أراد أنه كان
ليله في وصال ثم فارق حبيبته نهراً وذلك هو الشر الذي ذكر
والراوية جعلته لم يفارق فغير عليه المعنى الا أن تكون الرواية ويوم
كإبهام الحباري - فحينئذ - على أن دون تحتل ما قصد وتحتل
معنى قبل وتكون أيضاً بمعنى بعد اه ولا يسلم قولاً ما لم يترجح عنده
بدليل ولا يتلكأ عن نَبْذِه ولا يحمله تقدم قائله في العصر على
التقليد الاعمى قال (١) في باب رخص الشعر « ويجوز له (للشاعر)
التقديم والتأخير كما قال العُجَيْر السلولى :

وما ذاك إن كان ابن عمى ولا أخى ولكن متى ما أملكِ الضرُّ أنفعُ
برفع العين أراد ولكن أنفع متى ما أملكِ الضرُّ . ولا أدرى

ما الفرق بين هذا وبين :

[يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك] إن يُصرَع أخوك تُصرَعُ

حيث فرقوا بينهما غير أنانا لانسلم لهم كما سلم من هو أنقب مناحساً
وأذكى خاطراً « اه أقول سيبيويه (١) يجعل تُصرَع خبر إن وجواب
ان يصرَع محذوف عنده . والمبرد يجعل فاء الجواب محذوفاً والأصل
عنده فتصرع . وهذا شأن المحققين أن يحوموا حول الدليل كما أنكر
ابن قتيبة على سيبيويه وهو هو عدة تصحيقات له في الروايات وبناء
مسائل من النحو عليها في مقدمة طبقات الشعراء (ليدن ص ٣٢)
وأرى أن أنقل هنا آراء عدة من الشعراء في شعر محمد بن هانيء
المغربى قال ابن خلكان (٢) في ترجمته :

ويقال ان أبا العلاء المعرى كان اذا سمع شعر ابن هانيء يقول
ما أشبهه إلا برحى تطحن قرونا لاجل القعقة التى فى ألفاظه ويزعم
أنه لا طائل تحت تلك الألفاظ . ولعمري ما أنصفه فى هذا المقال
وما حمله على هذا الا فرط تعصبه للمتنبيء اه
وقال ابن شرف (٣) فى مقامة الانتقاد :

وأما ابن هانيء محمد الأندلسى ولادة ، القيروانى وفادة
وإفادة ، فرعدى الكلام ، سردي النظام . متين المباني ، غير

(١) انظر الخزانة ٣ : ٣٩٦ والسهيلي ١ : ١٦٠ (٣) ٢ : ٥
(٣) من مجموعة رسائل البلاغ ٢٥١ والاحاطة ٢ : ٢١٣ وجمعنا بين
الروايتين

مكين المعانى . يجفو بعطنها عن الأوهام ، حتى تكون كمنقطة النظام .
 الأ أنه اذا ظهرت معانيه ، فى جزالة مبانيه . رمى عن منجيق ، يؤثر
 فى النيق . وله غزل قفرى ، لا عدرى . لا يقنع فيه بالطيف ،
 ولا يشفع فيه بغير السيف . اهـ

وهاك ما ارتأى فيه صاحبنا ^(١) بعد أن ذكر أن للشعراء
 مذاهب مختلفة فى إثار اللفظ على المعنى أو عكسه :

وفرة أصحاب جلبة وقعقة بلا طائل معنى إلا القليل النادر
 كأبي القاسم ابن هانىء ومن جرى مجراه فإنه يقول أول مذهبته :
 أصاغت فقالت وقع أجرده شيطم .

وشامت فقالت لمع أبيض مخدم .

وما ذعرت إلا لجرس حليها

ولا رمقت إلا برى فى مخدم

وليس تحت هذا كله إلا الفساد وخلاف المراد . ما الذى يفيدنا
 أن تكون هذه المنسوب بها لبست حليها فتوهمته بعد الإصاخة
 والرمق وقع فرس أو لمع سيف وكانت عند أبي القاسم مع
 طبعه صنعة فاذا أخذ فى الخلاوة والرقّة وعمل بطبعه وعلى سجيته

أشبهه الناسَ ودخلَ في جملة الفضلاء . وإذا تكلف الفخامةَ وسلك طريقَ الصنعة أضربَ بنفسه واتعبَ سامعَ شعره . ويقع له من الكلام المصنوعِ والمطبوعِ في الاحايين أشياءً جيدة . ثم ذكر له من كلى^(١) القسمين بيتاً بيتاً ثم قال فهذا كله جيد وقد زاد فيه على البحترى الخ فأنت تراه في حكمه غير مائل عن جادة الإنصاف ، ولا هائم على وجهه في الشطط والاعتساف ، كآخرين يحلمهم الحبُّ أو البغض على حرمان المصيب واستحسان المخطيء

﴿ أنموذجٌ من شعره ﴾

كان صاحبنا بحيث مرَّ من إبداع المعاني واختراع الأساليب وثقوب الذهن وجودة القريحة ، وليس من الخائمين حول جزالة التراكيب وفخامة المباني وفصاحة الألفاظ فحسب . وسيأتى في ذكر قرأضة الذهب له أنه يفنّد الشعراء وينعى عليهم سرقاتهم . فليس من الممكن ان نرى في شعره « قعقعةٌ ولا طحنٌ » أو معنى مسروقاً بل نجده وافر النصيب من الإبداعات والابتكارات والمعاني الدقيقة والأفكار اللطيفة والأساليب المتينة والمباني الرصينة

(١) قال ابن درستويه في كتاب الكتاب (ص ٢١) أن كلا وكلتا يكتبان في حالة الاضافة الى المظهر والجر أو النصب بالياء فتكتب رأيت كلى الرجلين وصررت بكلى الرجلين

زفرة العاشق

إن كنت تنكر ما منك ابتليتُ به فإن بُرءَ سقامي عزَّ مطلبه
أشِرُّ بعود من الكبريت نحو في وانظرُ إلى زفراني كيف تُلهبه

علة الهزال

وقائلة ما ذا الشحوب وذا الضنى فقلت لها قول المشوق المتيم
هواك أنانى وهو ضيف أعزه فأطعمته لحمي ، واسقيته دمي

طول الليل وصنعة التوجيه

قد طال حتى خلته من كل ناحية وسط
وتكررت فيه المنا زل منه ، لامنى الغلط

يعنى أن الليل من طوله كان كخط الدائرة ليس له بدءة ولا
نهاية بل حينما أخذت منه فهو وسط . وتكررت منازلها فهذا الخطأ
منه ليس منى أو هذا خطأه لا بل هو منى

المدح وصنعة السلسلة بالعننة

أصح وأقوى ما سمعناه فى الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديثُ يروىها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم

وقد أثنوا عليه في البيتين ثناءً لا مزيد عليه^(١) . وانظر في حسن التعليل بيئته (طيباً وحيبياً) وكذا قوله في وصف النارج وقوله في قطوب وجهه وسيمرّ بك شيء في الفصول الآتية . وقال في الأمثال ، ولقد أجاد وبلغ المراد أو كاد :

في الناس من لا يرتجى نفعه إلا إذا مسّ بإضرار
كالعود لا يُطعم في طيبه إلا إذا أحرق بالنار
وأما بديهته فكم له من فيض اليد وعفو الساعة من غير تروٍّ
أو تلبّث ولو فُواق بكيةٍ . وراجع أمثلتها في النُتف لاسيما إجازته^(٢)
لبيت بيت على الدال (ولدُوا وعددُ) بل جُلّ ما عثرنا عليه من
شعره فهو من هذا الباب والتقطنا فوائده من كتاب بدائع البدائه .
وأما طوال قصائده فلم تصلنا اللهم إلا شيء نَزَر كقطرة من بحر

وأما شعره في الرناء فان نونيته في خراب القيروان لا يضاهاها
إلا نونية صالح بن شريف الرنديّ المذكورة في القلائد ونفح
الطيب وهي معروفة ، وسينية ابن الأَبّار^(٣) الكاتب البلنسيّ
صاحب التكملة لكتاب الصلة التي أنشدها بحضرة أبي زكريا

(١) راجع المعاهد ١ : ٢١٩ (٢) الشريشي ٢ : ١١٦ (٣) نفح الطيب

ابن أبي حفص صاحب تُوْنِس مستنجداً لمسلمي أندلس على نصاراها
والتي أولها :

أدرِكُ بِجَيْمِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلَسَا إِنْ الطَّرِيقَ إِلَى مَنْجَاتِهَا دَرَسَا
وَنَوْنِيَّةَ شَمْسِ الدِّينِ الوَاعِظِ الكُوفِيِّ ^(١) فِي زَوَالِ بَغْدَادِ
وَدَمَارِهَا عَلَى يَدَيِ العَفْرِيْتِ هُوَلَا كُوْخَانَ وَمُظْلَعِهَا :

إِنْ لَمْ تَقْرِّحِ ادْمَعِي أَجْفَانِي مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمْ فَمَا أَجْفَانِي !
وَكَلَّهَا حُدَيْتٌ عَلَى مِثَالِ نَوْنِيَّةِ صَاحِبِنَا ^(٢) فَهُوَ أَقْدَمُهُمْ عَصْرًا
وَأَنْبَهُهُمْ ذِكْرًا وَأَطْيَبَهُمْ نَشْرًا . فَهَلْ مِنْ قَلْبِ قَاسٍ أَوْ طَبِيعِ جَاسٍ
يَسْمَعُهَا بِسْمَعِ فَوَادِهِ وَلَا يَرِقُّ لَمَّا حَلَّ بِأَهْلِ القَبْرِ وَانْ مَحَطَّ أَهْلُ الدِّينِ
وَمَعَشَّشَ الإِيْمَانَ وَلَا يَسْتَنْزِفُ شَوْوَنَهُ أَوْلَا تَقَطَّعَ نَفْسُهُ حَسْرَاتِ
دُونِهِ . فَغَفِرَا اللَّهُمَّ !

﴿ صَاحِبِنَا فِي أَرْدَلِ العُمُرِ ﴾

مِنْ غَرِيبِ الإِتْفَاقِ أَنْ صَاحِبِنَا وَالمَعزَّ وَالدَوْلَةَ المَعزِّيَّةَ وَهُبُوا فِي
وَقْتِ مِنْ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الشَّيْخُوخَةَ كَمَا وَهُبُوا مِنْ قَبْلُ
الشَّبَابِ . وَقَدْ رَأَيْنَاهُ فِي الفُصُولِ السَّابِقَةِ يَرْتَعُ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ وَيَهْدَأُ
فِي ظِلَالِ الخَفْضِ وَالدَّعَةِ إِذْ قَلْبُ لَهُ الدَّهْرُ ظَهَرَ المَجْنُّ فَكَابِدَ وَعَثَاءَ

السفر وضيق ذات اليد وُحُرْفَةُ الأَدبِ وأرذل العمر
فَارَقْتُ شُعْبًا وَقَدِ قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ وَبُئِستِ الخِلْمَانِ العُزْنَ وَالكِبْرُ
وزراه يَبْنَ تحت حمل الهرم الفادح ، والضعف الخالذل الفاضح .
راجع القوافي (للشَّيْبِ وبلق الغراب وعن الصواب) . ويتناه هذان
كالتيرين في الخافقين :

إِذَا مَا خَفَقْتُ لِعَهْدِ الصَّبِيِّ أَبَتِ ذَلِكَ الخَمْسُ وَالْأَرْبَعُونَ
وَمَا نَقَلْتُ كِبَرًا وَطَائِي وَلَكِنْ أَجْرٌ وَرَأَى السِّنِينَ
والمعنى بحيث ترى كروضه أنف لم يوطأ قبله بَخْفٍ وَلَا حَافِرًا ،
وكنهل سائغ لم يُطْرَقَ بوارد ولا صادر . وقال في حرفة الأَدبِ :
مَا أَنْتِ يَادَهْرُ بِالْأَهْوَالِ تَفْجَعُنَا إِلَّا كَمَنْ يَقْرَعُ الجُلُودَ بِالْحَرْفِ
البيتين . وقال :

أَشْقَى لِعَقْلِكَ أَنْ تَكُونَ أَدِيبًا أَوْ أَنْ يَرَى فَيْكَ الْوَرَى تَهْدِيًا
مَا دُمْتَ مَسْتَوِيًّا فَفَعْلِكَ كَاهُ عَوَجٌ وَإِنْ أَخْطَأْتَ كُنْتَ مَصِيبًا
كَالنَّقْشِ لَيْسَ يَصِحُّ مَعْنَى خَتْمِهِ حَتَّى يَكُونَ بِنَاؤُهُ مَقْلُوبًا

﴿ عَزِيمَةُ السَّفَرِ ﴾

صاحبنا كان حِلْسَ البيت والوطن ، ومُرَبًّا بِالْأَهْلِ وَالسَّكَنِ ،
لم يفارق العَطْنَ . وهذا أبو الفضل الدارمي كان استوطن القيروان

ولكن لم يلبث والحالة هذه مع حاجته وقال :

ومعترفٍ لي في المقام ضرورةً بالقيروان وما بها سلطان
 الأبيات (١) . وأما قرنه ابن شرف فإنه قد أفرط في العجلة
 كراكب عجلان - وكأنه لم يكن يؤمن بقولهم : حسن العهد من
 الإيمان . فإنه هاجر الى صقلية بادىء بدء (٢) ولم يغادر المعز
 القيروان . وبالجملة فإن المعز لما فازقها بحكم الضرورة وفارقه المجد
 والعز اللذان كانا رفيقيه طول حياته استقام صاحبنا على منهج الوفاء
 وحفظ الذمِّام فتبعه إلى المهديّة . إلا أن هموم المعز كما سبق لنا
 ذكرها مراراً أنسته استمالة صاحبنا واستعطافه كما قال ابن بسام (٣)
 بعد أن ذكر انجلاء المعز عن القيروان :

« وكان أبو علي ممن انحسر في زمرته المحروبة ، وتخيّر إلى فئته
 المنكوبة - أقام معه وعشى المهديّة فما بعد (كذا) أسطول الروم .
 فأصبح البحر ثنايا . تطلع المنايا . وإكلاما ، تحمل موتاً زوأمًا . فدخل
 على المعز حين وضح الفجر فوجده في مصلاه والرقاع عليه ترد ،
 والشمع بين يديه تتقد . فقام ينشده قصيدته التي أولها :

(١) المعالم ٣ : ٢٤٢ (٢) أعي سنة ٤٤٧ كما في الصلة العدد ١٢٠٨
 والمعالم ٣ : ٢٣٩ (٣) مسالك الابصار : أمارى ص ٦٥١

تَثَبَّتْ لَا يُخَامِرُكَ اضْطِرَابٌ فَقَدْ خَضَعْتَ لِعِزَّتِكَ الرَّقَابِ

فَقَالَ مَهْ ! مَتَى (١) عَهْدَ تَنِي لَا أَتَثَبَّتْ ؟ إِذَا لَمْ تَجِئْنَا إِلَّا بِمِثْلِ هَذَا
فَمَا لَكَ لَا تَسْكُتُ عَنَّا . ثُمَّ أَمَرَ بِالرُّقْعَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا الْقَصِيدَةُ فَمَزَّقَتْ
وَلَمْ يَقْنَعْهُ حَتَّى أَدْنَاهَا إِلَى الشَّمْعِ فَأَحْرَقَتْ (كَذَا)

وَأَمَّا تَعْيِينُ عَالِمِ رِحَالِهِ إِلَى صَقْلِيَّةٍ فَلَمْ أَرِ مِنْ نَبِيهِ عَلَيْهِ غَيْرُ أَنْ
فِي قَوْلِ ابْنِ بَسَامٍ الْمَذْكُورِ أَنَّهَا هَذِهِ الْجُمْلَةُ « فَخَرَجَ ابْنُ رَشِيْقٍ يَوْمَئِذٍ
مِنْ عِنْدِهِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ وَكَانَ وَجْهَتُهُ إِلَى صَقْلِيَّةٍ » وَالْأَنْفَةُ وَالْحِمِيَّةُ
أَيْضًا كَانَتَا تَقْضِيَانِ بِذَلِكَ عَلَى مَا قِيلَ :

وَلَا يَقُومُ عَلَى ضَمِّ يَرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانَ غَيْرَ الْحَيِّ وَالْوَتِيدِ
وَكَانَ الْمَتَنَبِيُّ فَارَقَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ عَلَى أَنْ ابْنَ خَالُوَيْهِ أَمَرَ مَفْتَاخًا
فِي الْمَنْدِيلِ وَرَمَاهُ بِمُحْضَرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَلَمْ يَغْضَبْ لَهُ وَلَا احْتَمَى .
وَإِنْ كَانَتْ صَقْلِيَّةٌ لَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ لِلِاسْتِيطَانِ بِمَا دَهَمَهَا مِنْ فَتْنَةِ طَاغِيَةِ
مَالِطَةِ رَجَّارِ الْإِفْرَنْجِيِّ إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ أَقْرَبَ مِينَاءَ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ .
وَقَالَ صَاحِبُ الْبَسَاطِ أَنَّهُ هَاجَرَ إِلَيْهَا بَعْدَ وَفَاةِ الْمُعْزِ فِي السَّنَةِ ٤٥٣ هـ

(١) وَأَمَّا صَاحِبُ الْبَسَاطِ ص ٥٩ فَقَالَ إِنَّ ابْنَ رَشِيْقٍ كَانَ يَسَابِيهِ أحيانًا
عِنْدَ التَّكْدِيرِ بِأَنْشَادِ قِصَائِدِ الْمَطْرَبَةِ ثُمَّ نَقَلَ حِكَايَةَ الذَّخِيرَةِ هَذِهِ وَحَرَفَهَا حَيْثُ
حَكَى « مَتَى مَهْدَتِي يَأْتِي عِنْدِي لَا أَتَثَبَّتْ ؟ » حَتَّى يَسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى مَا اخْتَرَعَهُ

لما سمعه من كرم أمراءها الحسينيين ، ولا يبعد أن يكون ارتحل سنة ٤٥٢ هـ . وأما رثاؤه للعزّ على الكاف فيمكن أن يكون قرضه بصقلية ، ولكنه خلاف الظاهر المتبادر

﴿ صاحبنا الهرم بصقايّة ﴾

من سوء الحظ ليس بأيدينا من تاريخه بصقلية ما يرشدنا . وأسبابه على ما هو الظاهر (١) أنه لم يعمل هناك عملا يصلح للذكر أصلا أو على ما بلغنا (٢) هذا العهد كان عهد هرمة وهمومه (٣) ملوكها الحسينيون كانوا يتحاربون فيما بينهم وطلبوا الطاغية الذي كان فتح معظم الجزيرة في هذا الأوان كما قال الشريف الادريسي في نزهة المشتاق^(١) :

« ولما كان في سنة (كندا) اربعمائة وثلاث وخمسين سنة افتتح غرر بلادها وقهر بن معه طغاة ولاتها وأجنادها الملك العظيم رجار بن تنقريد خيرة ملوك الافرنجيين » .

ولا يبعد أن يكون صاحبنا ضاع في هذه المناوشة (٤) من يؤرخه ؟ فان جميع مسلمي الجزيرة كانوا بما فاجأهم حيارى تراهم سُكاري . وأما مسلمو افريقية فانهم لم يخذلوهم في نائبة فيما سبق

وكانوا في هذا الزمان مشغولى البال بما نابهم . الا الشريف
الادريسي فانه يرى بيضة الاسلام بالجزيرة قد تفلقت والمسامون
قد نكبوا وهو مع ادعاء السيادة والشرف يشمت بنكبتهم شامت
أعداء الدين . اللهم إنا نعوذ بك من شماتة الأعداء . وهذا كل ما
عثرنا عليه من هذا الباب . قال ابن بسام فى الذخيرة على ما نقل
عنه ابن فضل الله (١) :

« فخرج ابن رشيق يومئذ يوم أحرق المعز قصيدته على ما
مرّ [من عنده على غير طريق وكان وجهته الى صقلية . وكان ابن
شرف قد سبقه اليها وقد قتله (؟) عليها . وكان قد وقع بينهما
بالقيروان ، ما وقع بين الخوارزميّ وبديع ائزمان . فلما اجتمعا
يومئذ بصقلية تنمّر بعضهما لبعض ، وتشوّق أعلام البلد لما كان
بينهما من أبرام و تقص . فقصد ابن رشيق بعض أخوانه وقال له :
أنتماعلما الاحسان ، وشيخا أهل القيروان . وقد أصبحتما بحال
جلاء ، وبين الأعداء . والأشبه بكما أن لا نفرىا أديعكما ، ولا تطعما
الأعداء لحوهكما . فقال له ائت ابن شرف . فوجده أجنح للسلم ،
وأدنى الى الحلم . برىء اليد من صبيه وصعده ، وأعطاه بذلك

صَفَّقَتْ لِسَانَهُ وَيَدَهُ . وَكَانَ ابْنُ رَشِيقٍ رَجُلًا اعْتَرَضَ وَتَعَرَّضَ ،
وَتَحَلَّبَ وَتَلَمَّظَ . وَأَمَّا ابْنُ شَرْفٍ فَلَمْ يَجَلِّ مَاعْقِدًا ، وَلَا حَالَ عَنِ
[مَا] عَهْدِ

*
* *

قال أصحاب المعجب^(١) والمعالم^(٢) ونفح الطيب^(٣) وغيرهم
ان ابن شرف استنهض ابن رشيق [ولعله بصقلية أو افريقية] الى
الاندلس فأجابه :

مَا يَزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ سَمِعَ مَعْتَصِدٌ فِيهَا وَمَعْتَمِدٌ
أَسْمَاءَ مَمْلُوكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ
قَالُوا فَقَالَ ابْنُ شَرْفٍ :

إِنَّ تَرِيمَكَ الْغُرْبَةَ فِي مَعْشَرِ قَدْ جُئِلَ الطَّبِيعَ عَلَى بُغْضِهِمْ
فِدَارِهِمْ مَادَمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضَهُمْ مَادَمْتَ فِي أَرْضِهِمْ
إِلَّا أَنْ الَّذِي تَحْقُقُ لَدَيَّْ بَعْدَ طَوْلِ الْبَحْثِ أَنْ الْأَوَّلِينَ لَيْسَ
لِابْنِ رَشِيقٍ بَتَّةٌ وَالْآخِرِينَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَكِنْ فِي جَوَابِ
غَيْرِ الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ وَعُجْمَتِي عَلَى عِدَّةِ دَلَائِلٍ :

(١) المعتضد وابنه المعتمد لم يكونا أساءاً إليه حتى يستوجبا

(١) ص ٩٠ ليدن (٢) ٣ : ٢٣٩ (٣) مصر ١ : ٩٩ وليدن

الهجو منه ، بل كان المعتضد طلبه فلو وصل بحضرته كما كانا
يتمنيان ، فما كان يعتذر به عن الهجو إذن ؟

(٢) عزا البيهقي ابن خلكان في ترجمة ذي الوزارتين أبي

بكر بن عمار إليه وذكر للهجو خيراً قريناً بالصواب (١)

(٣) ما كان المعتضد جلس بعدُ على كرسى الملك ولا تلقب

بالمعتضد فإنه تملك سنة ٤٦١ (٢) ومات صاحبنا على قول (٣) في

السنة ٤٥٦ هـ وابن شرف في السنة ٤٦٠ هـ فهل من الممكن أن

يهجوه بعد موته - وأنا أستبعد وقوع القصة استبعاداً لا مزيد عليه

- وما أكثر ما يتبع السامعون في مثل هذه المواقع الظنون -

علي أن لفظ الانشاد ربما أوهم السامع أن البيت للمنشد فوق في

وادي نُضَلِّلَ

وأما بيتا ابن شرف فلا أستبعد أن يكونا لعل بن فضال

(وفضالة سبق قبله) المجاشعي القيرواني المتوفى سنة ٤٧٩ والمترجم له

في معجم الادباء (٥ : ٢٨٩) على ما في المعاهد (٤) - ثم يكون

بداله أن يمتحن سؤسه في هذه الصنعة من التجنيس التي امتاز بها

(١) . لمخضه أنه ولاء على كورة تدمير فتغلب عليها . مستبداً بها وكتب الى

ولي نعمه كتباً لم يراع فيها جانب الادب وهجا المعتضد وآباء بيهقيين ثم ذكرهما

٧ : ٤

(٢) الوفيات ٢ : ٢٩ (٣) الوفيات ١ : ١٣٣ (٤) ٢ : ٧٠

أبو الفتح البُستى فيكون قل على ما في المعاهد أيضاً^(١) :

يا ناويا في معشر	قد اصطلى بنا رهم
ان تبك من شرارهم	على يدى شرارهم
أو ترم من أحجارهم	وأنت في أحجارهم
فما بقيت جارهم	ففي هواهم جارهم
وأرضهم في أرضهم	ودارهم في دارهم

أو يكون العزو على العكس أى البيتان يكونان لابن شرف
وهذه الابيات لابن فضال الا أنه لا شك أن البيتين الدالين ليسا
لصاحبنا مرة

ملوك الطوائف بالاندلس وان كان كل منهم يتسمى بالخلافة
وينتمى الى الاقارب السامية الا أنه كان فى عهدهم لعلوم الآداب
والاوائل نهضة لم تقدر لتلك البلاد قبله ولا بعده - وهذا أبو
الفضل^(٢) الدارمى لما رأى ما حل بالقيروان ارتحل منها الى سوسة
ثم منها الى دانية ثم الى بلنسية ثم الى طليطلة فأكرم منواه صاحبها
المأمون بن ذى النون وأجزل قرأه وتوسع له وخدمته وأجرى له
ستين مثقالا فى الشهر الواحد ثم وصل باستمرار جرائته بعد وفاته سنة

٤٥٥ هـ على حاشيته وتلامذته على ما فى المعالم . وأما ملوك بنى العباد فإنا نراهم فى تربية المعارف وجلب أهل الفضل من كل صقع سابقى الحلبة وكان المعتمد أفضلهم وأنهمهم . ذكر العماد (١) وابن خلدان (٢) أن المعتمد أرسل إلى كل واحد من أبى العرب الزبيرى الصقلى وأبى الحسن الحصرى خمس مائة دينار ليفدا إليه بالاندلس فبكتبا إليه على الولاة :

لا تعجبين لرأسى كيف شاب أسى
واعجب لأسودعين (٣) كيف لم يشب
البحر للروم لا يجرى السفين به
الا على غرر ، والبرّ للعرب

أمرتنى بركوب البحر أقطعه
غيرى لك الخير فاحصه هذا الداء
ما أنت نوح فتنجيني سفينته
ولا المسيح - أنا أمشي على الماء
ثم لما استولى رجار الافرنجى على صقلية انجلى أبوالعرب عنها
ووصل بمحضرة المعتمد وكان صاحبنا يتردد فى أول أمره فى ركوب

(١) فى الخريدة أمارى ٦٠٨ (٢) ١ : ٣٤٣ (٣) ؟ عيني

البحر والجواز الى الاندلس عادة العرب من قديم كما يظهر من قوله :

البحر صعب المرام مرُّ
لا جُملت حاجتي اليه
أليس ماءً ونحن طين فما عسى صبرُنا عليه

وقوله «عن مراكيبه . البيتين» إلا أنه لما علم رغبة المعتضد في جلبه عزم على الانضواء اليه ولكن لم يوفق كما قال ابن بسام (١) :

«أخبرني بعض وزراء اشدلية قال جهز عباد (المعتضد)

بعض التجار الى صقلية وكان ابن رشيق كثيراً ما يسمع بذكر عباد فيرتاح الى جنباه ، ارتياح الكبير الى شبابه . فلما سمع بمقدم ذلك التاجر لزم داره وجعل يتردد اليه ويغشاه ، ويقترح عليه لقاء عباد ويتمناه . والتاجر يعده ويمنيه ، ويقرب له ذلك ويدنيه . حتى أسمعحت الرياح ، وأمكن في ميدان البحر المراح وذهب التاجر لطيمته ، وخلي بين ابن رشيق وأمنيته . وأخبر التاجر عباداً بذلك كله يتبجَّح له بها هنالك . فتابع عباد في نكاله ، وأمر باستصفاء ماله . ثم رام ابن رشيق بعد ذلك ركوب البحر فحشن له مسه ، ولم تساعده على ركوبه نفسه . فقال

البيتين

﴿ وفاته ﴾

قلوا انه توفى ببلدة مازَرَ (Mazzara) التي نسب اليها الامام المازري^(١) صاحب المعلم بفوائد كتاب مسلم . والظاهر أنها آخر بلدة بصقلية خرجوا الى أيدي الفجار أصحاب رجّار ، لانها هي ومرساها المسمى مرسى عليّ كانا تجاه المهديّة من إفريقية فكان المسلمون تقلصوا من أعماق الجزيرة هناك لينتهزوا فرصة الخروج . قال الشريف الادريسي^(٢) إن الناس كثيرا ما ينتقلون من إفريقية الى مرسى عليّ ، ومنه الى مازر اثنا عشر ميلا . وأما عام وفاته فهو علي ما قال ابن خلدكان^(٣) سنة ٤٦٣ هـ . وفيه توفى مُسند العراق أبو بكر الخطيب البغداديّ ثم قال ورأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفى سنة ست وخمسين وأربعمائة بآزر والاول أصح « ثم قال بعد نحو سطر « وقيل انه توفى ليلة السبت غرة ذى القعدة سنة ٤٥٦ هـ . وفي مختصر إنباء الرواة بأنباء النحاة « مات بآزر في طلق (خارج) سنة خمسين وأربعمائة . فعمره على القول الاول ٧٣ عاماً وعلى الثاني ٦٦ .

(١) أبو عبد الله محمد بن علي المازريّ الفقيه المحدث ترجم له ابن خلدكان

٤٨٦ : ١ (٢) نزهة المشتاق أمارى ٤٠ (٣) ١٣٣ : ١

وأما السنة ٤٥٦ المذكورة في كشف الظنون فأظن أصلها من ابن
خلكان

وأما صاحب البساط^(١) فهناك تذييله قال أولا أنه توفي سنة
٤٥٦ هـ ثم قال : وقال ابن خلكان سنة ٤٥٣ وهو عام ارتحاله إلى
صقلية والأول أصحّ عندنا لأن غالب أصحاب التراجم متفقون
على أن ابن رشيق توفي وقد بلغ سنه سبعين وهذا ما يؤيد ولادته في
حدود عام ٤٨٥ هـ والله بالحقيقة أعلم اهـ

أقول ولا أرى في هذا صوابا غير قوله والله بالحقيقة أعلم .
فقد علمت ان ابن خلكان لم يختار من الاقوال إلا قول سنة ٤٦٣ هـ
وذلك أيضا في أسماء الأعداد لا الأرقام حتى يتداخله الشك ولا
يقال ان سنة البساط ٤٥٣ من غلط المنضد لان قوله بعد هذا
« وهو عام ارتحاله الى صقلية » يؤيد انه لم يعزُ إلى ابن خلكان
إلا عام ٤٥٣ فانه لم يرتحل الى صقلية إلا في هذه السنة ثم أخذ
ينقب عن شاهد لعام الولادة الذي ذكره أعنى سنة ٤٨٥ هـ كما قال .
هنا وهو يريد عام ٣٨٥ على ما مرّ شرحه

﴿ تآليفه ﴾

(١) كتاب العمدة فى صناعة الشعر وتقدمه ... اسمه عنوانه « ان الجواد عينه فراره » تأليف راوية ناقل وجهبند بصير على الشعر والشعراء . وان كان ابن المعتز وقدامة الكاتب والقاضى الجرجانى وأبو الملال العسكرى وغيرهم تقدموه الى وضع كتبهم فى هذا الشأن إلا أن استيفاء المباحث وتفريع الابواب والتنويع والنقد والتزييف والجرح والتعديل مع رعاية الانصاف واستيعاب جملة من أدوات الكتاب والشعراء والمواد اللازمة لهم لا يشارك كتاب صاحبنا فيها أى كتاب . ذكره ابن خلدون^(١) فى عدة مواضع من مقدمته . قال فى موضع منه بعد ذكر أن قرص الشعر وصنعتة لا بد له من النشاط وفراغ الخاطر :

ذكر ذلك ابن رشيق فى كتاب العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة واعطاء حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله

ثم قال بعده بقليل :

(١) مصر سنة ١٣١١ هـ ص ٣٥٤ و٣٧١ و٣٧٢ الى غيرها

وبالجملـة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن
رشيق

قال صاحب البساط والعمدة عليه انه صنّفه قبل سنة ٤٢٠ هـ
أقول وفي العمدة ^(١) « ومن قصيدة صنعتها بديهة بالمهدية ساعة
وصولي اليه (الى المعز) أدام الله عزه عن اقتراح بعض شعراء وقتنا
هذانم سرد أبياتاً منها قوله :

الى الملك المعز أبى تميم أمر بن سواه فلا أعيج
وهذا يقتضى أن يكون صنّفه بالمهدية بعد السنة ٤٤٩ هـ وهى
سنة انجلاء المعز إلى المهدية فيكون أتمّ الانمـودج وقراسة الذهب
بالمهدية أو صقلية . اللهم إلا أن يكون أضاف هذه العبارة فقط
بالمهدية . كما سيمرّ بك ان بعض الناس ادعى عليه أنه سرق من
كتاب له عدة أبواب وضمنها العمدة . ودعوا هذه مذكورة في العمدة
فلا محيص إذن من أن يكون ألحقها بعد الاتمام والله تعالى أعلم
واختصره الصقلي ^(٢) وسماه العُدّة كما فى كشف الظنوز

(١) ١ - ١٥٤

(٢) هو ابو عمر عثمان وقد ذكره ياقوت في ترجمته ٥ : ٤١ . وقال
صاحب البساط (ص ٨٨) انه العلامة ابن الفطاح [صاحب الاقبال استاذ
ابن بري] وأن العمدة شرح وليس باختصار

واختصره ^(١) موفق الدين البغدادى أيضا . قال ابن الأبار فى كتاب التذكرة ^(٢) لكتاب الصلة فى ترجمة أبى بكر بن سراج النحوى « محمد بن عبد الملك الشنترينى يعرف بابن السراج ويكنى أبا بكر وله اختصار فى كتاب العمدة لابن رشيق وتنبيه على أغلاطه فيها توفى ببصر سنة ٥٤٥ هـ » ولا يذهبن عليك أن يكون أمثال هذا النقد يخفض من شأن الكتاب شيئا . بل يدل على رغبة العلماء فيه والبحث عن فرائده والحرص على تهذيبه مما يشين حتى لا يبقى نهزة لكل قاص ولقى بين يدي كل لاقط . وهذا حمزة الاصفهانى صنف كتابا فى تصحيح العلماء وعلى بن حمزة البصرى أخذ على المبرد فى كامله وأبى حنيفة فى نباته ويعقوب فى إصلاحه إلى غيرهم . وكذا أبو عبيد البكرى صاحب اللآلى فى شرح أمالى القالى صنف فى التنبيه ^(٣) على أغلاطه كتابا مفرزا

طبع العمدة أولا بتونس سنة ١٢٨٥ هـ الجزء الأول فقط .

(١) الكشف رسم العمدة والفوات ٨:٢

(٢) ١ : ١٩١ والعدد ٦٦٠ من طمة مجريط عاصمة اسبانيا

(٣) هو من نفائس الخزانة التيمورية بالقاهرة . وقد وصف بالشرق

تم طبع في مصر بتمامه سنة ١٣٢٥ هـ وزعموا أنهم عارضوه على ثلاث نسخ . وبالمكتبة الملكية في مصر منه نسخة جيدة

وبحث ابن رشيقي في آخر كتابه هذا عن عدّة فنون من فنون الادب حتى يصير كتابه قائماً بنفسه كباب الانساب وما يتعلق بها وباب أيام العرب وباب معرفة ملوك العرب وباب الخليل ومذكوراتها وباب أغاليط الشعراء والرواة (وهذا الباب مستوفى في كتاب الصناعتين والوساطة أيضاً) وباب منازل القمر وأنواعها وباب الاماكن والبلدان إلى غير ذلك من أبواب الفنون اللازمة للاديب وذكّر في العمدة ^(١) أن بعض الناس عاب عليه السرقة عنه في العمدة وهاك لفظه « وقد بلغني أن بعض من لا يتورّع عن كذب ولا يستحي من فضيحة زعم أني أخذت عنه مسائل من هذا الكتاب - ولو سئل عنها الآن ما علمها والامتحان يقطع الدعوى كما قال بعض الشعراء :

من تحلّى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

وكنت غنيا عن تهجين هذا الكتاب بالاشارة الى من أشرت اليه أنفاً من ذكره وعزوفاً بهمتي عن الانحطاط الى مساوانه ولكن

رأيت السكوت عجزاً وتقصيراً . اهـ

(٢) أنموذج الزمان في شعراء قيروان - هذا الكتاب لم أجد له ذكراً في فهارس خزائن الكتب العمومية - إلا أن من تقدمنا قد عثروا عليه وأخذوا منه واقتبسوا من نوره - وبشر به في العمدة ^(١) ولفظه في باب التكسب بالشعر والانفة منه « وهذا الباب قد احتداه الكتاب في زماننا هذا إلا القليل وقوم من شعراء وقتنا أنا أذكرهم في كتاب غير هذا » وذاع الكتاب وسار مسير الشمس في الاقطار ورأيت ابن الابار صاحب التكملة وابن منظور صاحب نثار الأزهار والأزدى صاحب البدائم والسيوطى وغيرهم وهم كثيرون يجتنبون من أزهاره ويعشون الى أنواره - ومن اعوازه وعدم وصول الايدي الى مرادها منه ذكرت فيما مرَّ (ص ٣١ - ٣٢) فهرساً سردت فيها ما عثرت عليه من تراجم أدباء قيروان مأخوذة من تآليف من عثروا عليه . فكأنى أحبيت منه بصنيعى هذا جزءاً فله الحمد على ذلك . وقد اطلعت بعد وضع ذلك الفهرس على أسماء رجال آخرين من ادباء القيروان ورد ذكرهم في الأنموذج على ما نقل عنه في الكتب الآتى بيانها :

أبو بكر عتيق بن محمد التيميّ الوراق . من الأئمة .
الفوات ٢ : ٢٩

بكر بن عليّ الضابوني . من الأئمة . الفوات ٢ : ٨٠
عبد الرحمن بن محمد القرشي . من الأئمة . الغيث المسجّم
٢٣٠ : ١

عبد الله بن رشيّق المدكور عن الأئمة . نفع الطيب مصر
٢ : ٢١ أيضاً

عبد العزيز بن خلوف الجروي . نثار الأزهار ٢٠
محمد بن إبراهيم . نثار الأزهار ٢٠

(٣) قرّاضة الذهب في نقد أشعار العرب . قال فيه (١) ابن
خلدكان « وهو لطيف الجرم كبير الفائدة » وعثر عليه ابن الأبار
أيضاً وقد نقل كلاهما عنه أن ابن هانيء توفي سنة ٣٦٢ هـ إلا أن
ابن الأبار قدّم قول سنة ٣٦١ هـ كما هو في الاحاطة (٢) لابن
الخطيب - ذكره أيضاً في العمدة (٣) ولفظه:

« باب المعاني المحدثة - ولكنني أفرد له [ما شارك فيه
المتأخرون المتقدمين من المعاني وما اختص به جماعة دون أخرى]

كتاباً قائماً بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون وما شاركهم فيه المتقدمون اهـ» ويوجد منه نسخة في ٤٦ ورقة بالمكتبة الملية في باريس وعدده في فهرستها ٣٤١٧ (لا ٣٣١٧ كما زعم صاحب المقالة في دائرة المعارف الاسلامية بالانكليزية) وهو ككتوب الى أبي الحسن علي بن أبي القاسم اللواتي وأوله «أما بعد امتع الله اخوانك ببقائك وكفاهم الأسواء فيك وجعلني من بينهم الفداء لك . اهـ»

بحث فيه عن سرقات المتقدمين والمتأخرين من الشعراء

(٤) كتاب الشذوذ في اللغة - جمع فيه شواذ كل باب ككتاب

ليس لابن خالويه . قال صاحب البساط ثم شرحه بنفسه

(٥) ديوان شعره - قال ابن خلسكان^(١) في ترجمة ابن يعيش

شارح المفصل « وكان الشيخ موفق الدين المذكور كثيراً ما ينشد

منسوبا الى أبي علي الحسن بن رشيق المقدم ذكره ثم كشفت ديوانه

فلم أجد هذه الابيات فيه » (ثم سردها وهي عينية انظرها في

النتف) أقول وكذا نقل ياقوت في ترجمة ابن رشيق بعض هذه

الابيات من فسخ الملح وقال إني لم أقف على تمامها - مع أنها بتمامها

مسطورة في العمدة (٢ : ١٣١) ومنه يعلم أن الديوان ليس فيه

جميع شعره والله أعلم . ويوجد بمكتبة اسكوريال مجموعة فيها شيء من

شعره وشعر مهبّار الديلمي وأبي الحسن الصقلي وابن الحكّام المكي
تأليف أبي محمد عبد الله بن يحيى بن حمود الحزيمي (كذا) -
والمجموعة تحت عدد ٤٦٧ في فهرستها جمع درنبرغ ، وذكرها
أما في أيضاً في مجموعة تواريخ صقلية (ص ٦٨٠)

(٦) ميزان العمل في تاريخ الدول قال الحاج خليفة انه عدد فيه

أيام الملوك فحسب

(٧) شرح موطأ مالك كما في الكشف

(٨) تاريخ قيروان على ما فيه أيضاً

(٩) الروضة الموشية في شعراء المهديه - كما في البساط -

(١٠) كتاب المساوي في السرقات الشعرية كما فيه أيضاً

(١١) مختصر الموطأ على ما في البساط . ولا يبعد أن يكون

صاحبه ظن شرح الموطأ مختصراً له

(١٢) أنموذج اللغة

وهذه رسائله في الرد على أهل عصره :

(١٣) رفع الاشكال ودفن المحال

(١٤) ساجور الكلب

(١٥) نبح الطلب

(١٦) قطع الانفاس

(١٧) فسخ المَلَح ونسخ الملح وقف عليه ياقوت كما مرّ (١)

(١٨) نقض الرسالة الشعوزية والقصيدة الدعيمة

(١٩) الرسالة المنقوضة (٢)

ونقل صاحب البساط عن الصلاح الصفدى قوله « وقفت على هذه المصنفات والرسائل جميعها فوجدتها تدل على تبجره في الادب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبجره في النقل »

﴿الإمام ببعض أوهامه﴾

لم يكن من غرضنا ههنا أن نندد بسقطاته أو نعي عليه عثراته إلا أن الانسان وإن بلغ نهاية الكمال فلا بد له من عيب يقيه من العَيْن الا من عصمه الله . وقد قالوا اللبيب من عُدَّت سقطاته ، ولكل عالم هفوة كما أن لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة . وحسبك أنى لم أجد من هذا الباب في كتاب العمدة الا ثلاثة وباب التأويل يدافع عنه إن ملنا إليه :

(١) هذه الرسائل الخمس (من ١٣ - الى ١٧) عن اللوات ٢ : ٢٠٤ في ترجمة ابن شرف (٢) هاتان الرسالتان (١٨ و١٩) من البساط

(١) فصل المضاف بين المضافين. نقل^(١) عن شيخه عبدالكريم في عبارة « هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف » ولم ينبه على غلظه ولا اعتذر عنه . وهذا أى ايراد المضافين على مضاف إليه مما لا يجوز ألبتة فى النثر قال سيديويه^(٢) « ومما جاء فى الشعر قد فصل بينه وبين المجرور [وأنشد شواهد ثم قال] وقول الأعرشى :

إلا علالةً أو بدا هة قارحٍ نهْدِ الجُزاره

فهذا قبيح ويجوز فى الشعر على هذا « مررتُ بخيرٍ وأفضلِ
منَ نمِّ » وقال الفرزدق :

يا من رأى عارضا اسرَّ به بين ذراعى وجبهة الأسد

ومثله فى المفصل وشرحه لابن يعلى وجمهرة كتب العربية
(٢) الخطأ فى الرواية - أبيات سيف الدولة الضادية المشهورة
فى وصف قوس قزح وألوانها له حقاً كما عزاها إليه الثعالبي فى
كتابين له والثريشي^(٣) ولفظ الثعالبي فى اليتيمة^(٤) « أنشدني
أبو الحسن محمد بن محمد الافريقى المتيم سيف الدولة فى وصف قوس
قزح وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرتة اه » الا أن صاحبنا
عزاها فى عمدته^(٥) الى ابن الرومى . وظاهر أن الثعالبي أقدم منه

(١) العمدة ٢ : ٩٤ (٢) طبعة بولاق ١ : ٩٠ - ٩٢

(٣) ٢ : ٩ (٤) ١٩ : ١ (٥) ٢ : ١٨٤

عصرا وأقوم بشعر المشاركة ضبطا وذكرا، فقوله القول إذن
 (٣) الخلط اللغوي - السيف المشرف منسوب الى مشارف
 الشام أو اليمن أو الى مشرف (وفي ضبطه خلاف) قرية باليمن أوقين
 راجع هذه الاقوال مفصلة في معجم ما استعجم ومعجم البلدان في
 رسمى مشارف ومشرف - الا أن صاحبنا خالف جمهور العلماء
 وقال في عمدته^(١) « سيف مشرفى منسوب الى مشرف وهي قرية
 باليمن كانت السيوف تعمل بها. وليس قول من قال انها منسوبة
 الى مشارف الشام أو مشارف الريف بشيء عند العلماء وإن قاله
 بعضهم » ولم يبين لنا دليله وأما السيوف فكانت تنسب الى الهند
 للمعادن والى اليمن للعمل والى الشام أيضا كما قال الحماسي :

صفاخ بصرى أخلصتها قيونها ومطرّدا من نسج داود مئبها
 ومعلوم أنهم يردّون الجموع إلى وزان المفرد في النسبة فلم أدرك
 وجه انكاره الا أنني لست الآن بصدد التحقيق اللغوي فتعال
 أيها الناظر في كتابه حتى أريك أنه لم يبدأ بنفسه في الاثمار
 وجرى على المشهور بالاغترار، حيث أنشدنا في عمدته^(٢) أيضا من
 مطربات أناشيد هيتنا :

وقد نازعتُ فضل الزمام ابنَ نَكْبَةِ

هو السيف لا ما أخلصته المشارفُ

فقوله « وليس قول من قال الخ » هذا القائل هو ابن أخت

خالته

رحمه الله رحمة واسعة ، ورزق حفرته شأيب هامرة هامة .

انه قريب مجيب



استدراك

- ١ -

تقدم في ص ٦ نقلا عن الوفيات ٢ : ١٠٥ أن للمعز بن باديس شعراً . وقد عثرنا على أن له قصيدة اسمها « النفحات القدسية » ذكر فيها استقلاله عن الفاطميين . منها نسخة في مكتبة الاسكوريال

- ٢ -

أوردت (في ص ٤٠ - ٤١) خبر أبي محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي من شيوخ ابن رشيق . وأزيد الآن أنه صاحب كتاب « الممتع في علم الشعر وعمله » . وورد له شعر في نثار الازهار ٣٦ و ٨١ وفي زهر الآداب

- ٣ -

زد على ماورد (في ص ٤٣) أن من تلامذة ابن رشيق أبا الحسن ابن عيذون الهذلي اللغوي (معجم الازباء ٥ : ٢٤٦) وقد رآه بمازر واستنشده شعره فانشده



ابن شرف القيرواني

وابنه

أبو الفضل جعفر

ترجمة

ابن شرف

١ - ترجم له ابن بشكوال في كتاب « الصلة » - صلة تاريخ ابن الفرضي - طبعة مجريط في الصفحة ٥٤٥ تحت العدد ١٢٠٨ هـ وهذا لفظه :

محمد ابن أبي سعيد ابن شرف الجذامي القيروانى منها يكنى أبا عبد الله . خرج عن القيروان عند اشتداد فتنة العرب عليها سنة ٤٤٧ . وقدم الاندلس وسكن المريّة وغيرها . وكان من جلة الادباء وفحول الشعراء . وله كتب مؤلفة في معنى ذلك كله . وله رواية عن أبي الحسن القايسى الفقيه وأبي عمران الفاسى وصحبهما وقد أننى عليه أبو الوليد الباجى ووصفه بالعلم والذكاء . وقد أخبرنا عنه ابنه الاديب أبو الفضل جعفر بن محمد بجميع مجموعات أبيه وكتب بذلك إلينا بخطه رحمه الله هـ

٢ - وذكره ابن خلكان عرضا في ترجمة ابن رشيق ولم يترجم له خاصة . وترجم له الكتبي في فواته . وهاك مما زاده على السابق (٢ - ٢٠٤ طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ) :

كان أعور وله تصانيف منها « ابكار الافكار » وهو كتاب

حسن في الأدب يشتمل على نظم ونثر من كلامه وتوفي سنة ٤٦٠ هـ .
 وكان بينه وبين ابن رشيق مُهاجاة ومعاداة جَرَى الزمان بها ،
 كعادته بين المتعاصرين . ولابن رشيق فيه عدة رسائل يهجو فيها
 ويذكر أغلاطه وقبائحها [سمينها في ترجمته ص ٨٣ - ٨٤] ثم سرد
 له تسع قطع ذكرناها في النتف - راجعها فيه -

٣ - وترجم له صاحب « المعالم » وذيله (٣ : ٢٣٩) وهالك
 ما زاد علي السابقين : « الاجذابي » - قدم الاندلس . . . وتردد
 علي ملوك الطوائف بها بعد مقارعة أهوال ومباشرة خطوب طوال
 وله عدة تواليف منها كتابه المرسوم « بأعلام الكلام » وكتاب
 « أبكار الافكار » وكان من أعقل الناس وأحزمهم استنهضه ابن
 رشيق مع منافرة كانت بينهما في . . . أن يجوزا معا الى الاندلس
 فأشده ابن رشيق [مرّت أبياتهما في ترجمته ص ٦٩] ثم ذكر من
 شعره قطعيتين في رثاء القيروان [متأملٍ وغافرُ] وأخرى في
 الشيب [وشاحُ] وذكره أبو الوليد وأن علم الأدب من
 بعض علومه . هـ

أقول ومن جهة كونه فقيهاً ذكره صاحب « المعالم » ولم يذكر
 ابن رشيق . وذكر ابن رشيق ابنُ خلكان دونه من جهة نباهته
 في الادب

٤- وترجم له السيوطي المكثار في بُغيته ص ٤٦ في سطين
 اختلسهما مع زيادة غلط فاضح من « الصلة » وهذا لفظه الغريب :
 مات سنة ثمان عشرة وخمس مائة ذكره ابن بَشْكُوَال في
 زوائده على الصلة هـ . والسنة كما ترى من اختراعه - والترجمة في
 صلب طبعة الصلة في فصل الغباء - والله أعلم
 ٥- وله نثر طويل في مدح الشطرنج (في الغيث ٢ : ٥٦)
 وهاكه :

حربٌ سجّال ، وخيلٌ عِجّال ، وفرسان ورجال ، قريبة
 الآجال ، سريعة عودة المجال . تستغرق الفكرة ، وتستلب اللب
 استلاب السكره . وتترك اللسان وما أراد ، أساء أو أجاد . إلا أنها
 تدنى مجلس الصعلوك ، من أشرف الملوك . حتى لا يكون بينهما
 في أقرب بقعة ، إلا عرض الرقعة ، وربما التقت ثيابهما في بيت
 القطعة ، ولسانها على بيت القطعة ^(١) . لعب أصولي ، وغريب
 مُصولي ^(٢) . قر لجاجي ، ولعب لجلاجي . مظفر الفئته ، يراها عن
 مائة . بيوته حصينة ، وشاهه مصونة ^(٣) . ودوابه مجتمعة ، وشاهه

(١) البيت من الشعر ، والنظمة مادون العشرة من الايات

(٢) أبوبكر الصولى الشطرنجي الذي يضرب به المثل في اللب بالشطرنج

(٣) الشاه اصله بالفارسية الملك ولكنهم أجروا إياه مجرى هاء التأنيث

ممتنعة . جيد النظر ، شديد الحذر ، لا يبقى ولا يندر . عينه تغلي ،
وفكرته تبلي ، ويده تبلي
وقال في ضد ذلك :

آخر الطبقة ، وأول الآبقة^(١) . لعبٌ كَلٌّ ، يطرح له الكلُّ .
رُخَّةٌ أبدأً فيل ، وشاهه قنيل . لعب يرمد ويكمد ؛ لعبٌ الغريب
فيه غريب . والصواب فيه لا يصاب . دفع ما فيه نفع . وقطع على
نطح . ما في دفعاتها إغراب ، ولا لوقعاتها إطراب . طويل حد
الرقعة ، كثير مس القطعة . على طول إمساك ، وثقل حراك



(١) جمع الآبقي : المار . وفي الاصل « الآبقة » وهو غلط

ترجمة ابنه

أبي الفضل جعفر

ترجم له ابن خاقان في قلائده في تسع صفحات (٢٩٠-٢٩٩
 طبعة باريس) وأفاض في الشناء عليه ونقل شعره المرقص المطرب
 وترجم له ابن بشكوال في «الصلة» ترجمة حسنة (ص ١٣١
 والعدد ٢٩٠)

والضبي في تاريخه طبعة مجربط في موضعين (العدد ١٥٥٧
 ص ٥٢٠ - والعدد ٦١٠ ص ٢٣٩)

واختلس صاحب البغية من الصلة أربعة أسطر (في ص ٢١٢)



فهرس

﴿ للابحاث الواردة في الكتاب ﴾

صفحة

٣ مقدمة المؤلف

المعز بن باديس

٥ أولية المعز

٩ غلو الفاطميين في بث دعوتهم

١١ المعز والمشاركة (الفاطميون)

١٦ ضعف قوة المعز

القيروان

١٩ خراب القيروان

٢٢ سبب خراب القيروان غريب

٢٥ حاصمة القيروان

٨١ و٣١ أدباء القيروان اعتماداً على ما ورد في الكتب نقلًا عن

(الانموذج) ابن رشيق

٣٣ طائفة أخرى من أدبائها

ابن رشيق

٣٤ ولادته وأيام تربيته بالمسيلة (المحمدية)

٨٨ و ٣٧ شيوخه

٨٨ و ٤٢ تلاميذه

٤٣ شبابه وصيته في الاقطار

٤٨ ابن رشيق بحضرة المعز

٥٠ هو في الخليط

٥٣ سعة اطلاعه واصابته الغرض وغائر نقده

٦٠ انموذج من شعره

٦٣ صاحبنا في أرذل العمر

٦٤ عزيمه السفر

٦٧ صاحبنا الهرم في صقلية

٧٤ وفاته

٧٦ تأليفه

٨٤ الامام بيعض أوهامه

٨٨ استدراك

ابن شرف وابنه جعفر

٩٠ ترجمة ابن شرف

٩٤ » ابنه جعفر

النَّفْضُ

مِنْ شِعْرِ ابْنِ رَشِيقٍ وَزَمِيلِهِ ابْنِ شَرَفٍ

ويليه

مُلْحَقٌ فِيهِ لَمَعٌ مِنْ شِعْرِ الشَّاعِرِ الْحَكِيمِ

﴿ أَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ شَرَفٍ ﴾

الْجُدَامِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ

صُنِعَ

﴿ أَبِي الْبَرَكَاتِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمِمْمَنِيِّ ﴾

السَّلْفِيُّ الرَّاجِزِيُّ

الْإِسْتَاذُ بِالْكَلْبَةِ الشَّرْقِيَّةِ فِي لَاهُورِ (الْهِنْدِ)

تَحْتَ الطَّبْعِ فِي

الْمَطْبَعَةِ السَّلْفِيَّةِ - وَمَكَانَتِهَا

وَيَطْلَبُ مِنْهَا وَثَمَنُهُ ٥ قُرُوشٍ

الحكومة المصرية في الشام

بقلم

محمد كرد علي

رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

وهي المحاضرة التي ألقاها في نادي المجمع العلمي العربي
يوم ١٠ رجب سنة ١٣٤٣ (٥ فبراير ١٩٢٥)

يطلب من

المكتبة السليمانية

وتمنه قرشان صاغا

